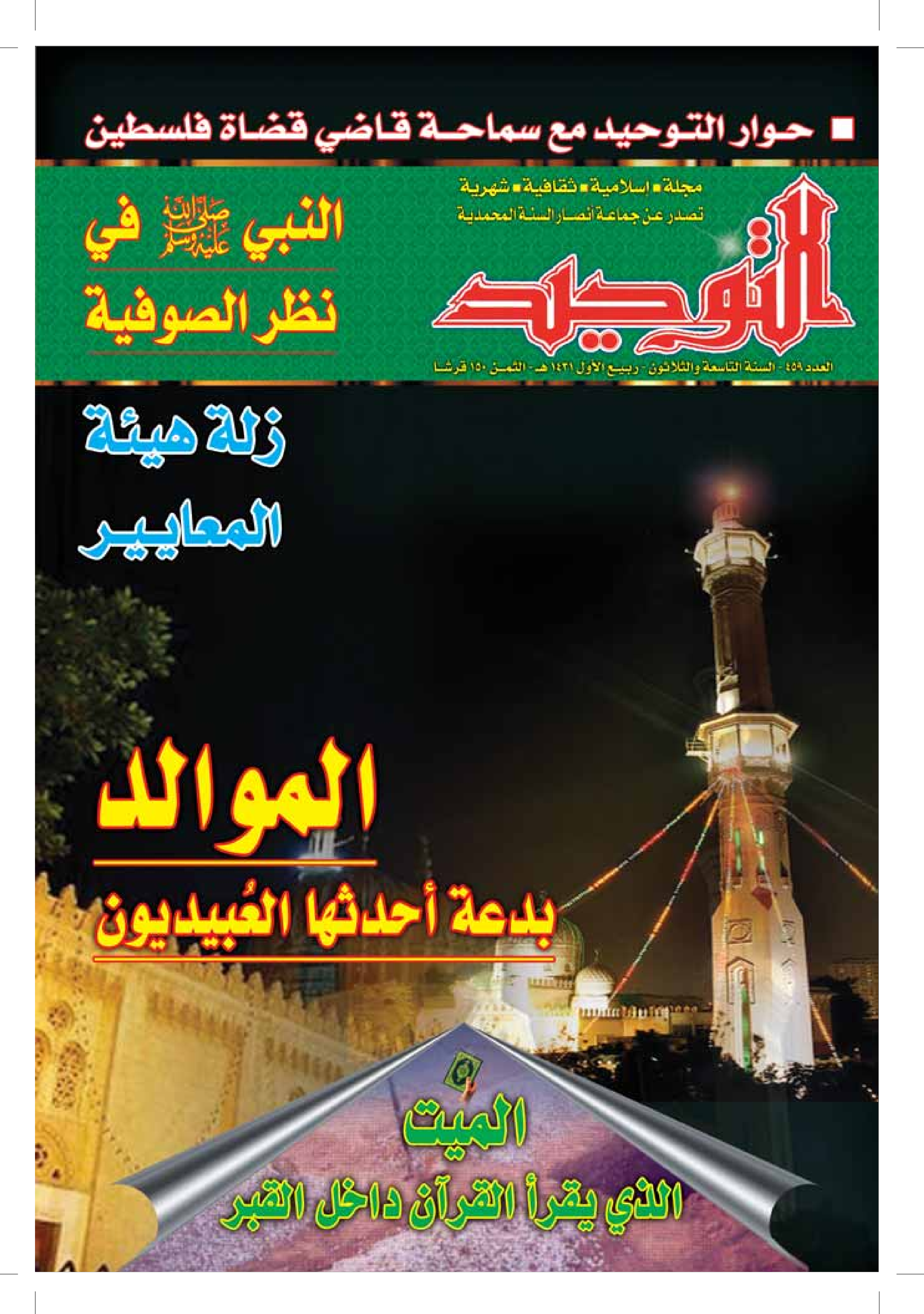

■ حوار التوحيد مع سماحة قاضي قضاة فلسطين
مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
العدد ٤٥٩ - السنة التاسعة والثلاثون - ربيع الأول ١٤٣١ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
النبي ﷺ في نظر الصوفية
زلة هيئة المعايير
الموالد
بدعة أحدثها العُبيديون
الميت
الذي يقرأ القرآن داخل القبر

"السلام عليكم"

الفحش الإعلامي

نشرت بعض الصحف القومية لكاتب مشهور، وهو يعلق على تحصيل الضريبة على الشقق المتميزة، فرسم رسمًا كاريكاتوريًا لرجلين يقول أحدهما للآخر ما خلاصته: إنهم سيحصلون منك على ضرائب كثيرة على شقتك التي تميزت بأنها تطل على شقة البنت الجميلة التي وجهها مثل...!!

ووصفها بأوصاف جنسية تثير الشهوة، وتشيع الفاحشة، وتعلم الشباب مصطلحات الرذيلة وسوء الأدب!!

أهذه رسالة الإعلام ؟!

صار الكلام في التحرر والتحلل والإباحية مما يُذاع ويُشاع، ولا حرج فالحياة متاع !! أما أن تدخل شابة إلى الامتحان بنقابها فهذا مما يجب فيه المنع والامتناع؛ بحجة منع الغش، مع أن وسائل منع الغش كثيرة ميسورة !!

أيليق هذا بأهل مصر المسلمة الذين رضوا بالإسلام دينًا؟ وقد جاء فيه: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ" [النور: ١٩].

التحرير



مجلة التوحيد لا يستغني عنها مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة التاسعة والثلاثون

العدد ٤٥٩ ربيع الأول ١٤٣١ هـ

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر

المشرف العام

د. عبدالعظيم بدوي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد
جمال عبدالرحمن
معاوية محمد هيكل

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

موقع المركز العام:

WWW.ELSONNA.COM

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١ - في الداخل ٢٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢ - في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

م. دار الجمهورية للصحافة

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني

أحمد إبراهيم صوابي



البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

GSHATEM@YAHOO.COM

التوزيع والاشتراكات:

SEE2070@HOTMAIL.COM

موقع المجلة على الإنترنت:

WWW.ALTAWHED.COM

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي:

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية



في هذا العدد

الافتتاحية: بقلم/ الرئيس العام	٢
حوار التوحيد: جمال سعد حاتم	٦
باب التفسير: إعداد/ د. عبدالعظيم بدوي	١٢
إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة: إعداد/ المستشار: أحمد السيد علي	١٥
باب السنة: إعداد/ زكريا حسيني محمد	١٧
درر البحار: إعداد/ علي حشيش	٢١
من الآداب الإسلامية: إعداد/ سعيد عامر	٢٣
حديث الشهر: بقلم. د/ جمال المراكبي	٢٦
باب الاقتصاد الإسلامي: إعداد/ د. علي أحمد السالوس	٣٠
من روائع الماضي: أعدها/ فتحي أمين عثمان	٣٤
واحة التوحيد: إعداد/ علاء خضر	٣٦
دراسات شرعية: إعداد/ متولي البراجيلي	٣٨
باب التراجم: بقلم الدكتور/ عبدالرحمن السديس	٤٢
صفة النار وعذاب أهلها: إعداد/ صلاح نجيب الدق	٤٤
باب الأسرة: إعداد/ جمال عبدالرحمن	٤٩
أصحاب النبي ﷺ: إعداد/ محمد فتحي عبدالعزيز	٥٣
تحذير الداعية: إعداد/ علي حشيش	٥٧
باب الفتاوى:	٦١
أسباب الغفلة: إعداد/ محمد رزق ساطور	٦٤
سنة اتخاذ مساجد في البيوت: إعداد/ أيمن دياب	٦٨
الشيعة النصيرية وجذورها التاريخية: إعداد/ أسامة سليمان	٧٠









الحمد لله رب العالمين، يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، والصلاة والسلام على من تركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد:

فمن البدع المظلمة المتكررة التي روَّج لها الشيطان بدعةُ الاحتفال بالموالد التي درج عليها بعض الناس واستحسنوها، وقد تأثروا في ذلك بالنصارى المحتفلين في كل عام بما يطلقون عليه «الاحتفال بالعيد المجيد»، ويعنون به عيد ميلاد المسيح - عليه السلام -، وذلك في اليوم السابع من شهر يناير، ومما يؤسف له أن جَهَلة المسلمين يشاركونهم في ذلك.

وفي شهر ربيع الأول وهو الشهر الذي وُلد فيه النبي ﷺ يحتفل كثير من الطُّرُقية بالمولد النبوي؛ زاعمين صدق محبتهم للنبي ﷺ، والأمر ليس كذلك؛ لأن البدع لا يُتَقَرَّب بها إلى الله، وقد مضت القرون المفضلة التي شهد لها بالخيرية نبينا محمد ﷺ، وفيهم الصحب الكرام ولم يفعلوا شيئًا من ذلك مع شدة محبتهم واتباعهم للنبي ﷺ، وهم أعلم الناس بالسنة، وأحرصهم على اتباع الحق وسلوك طريق الخير. والموالد بدعة محدثة أحدثها أولاد بني عبيد القداح الذين يسمون أنفسهم بالفاطميين.

قال الشيخ علي محفوظ - رحمه الله -: «الموالد هي الاجتماعات التي تُقام لتكريم الماضين من الأنبياء والأولياء، والأصل فيها أن يُتَحرى الوقت الذي وُلد فيه من يُقصد بعمل المولد، وقيل: أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع، فابتدعوا ستة موالد: المولد النبوي، ومولد أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه -، ومولد السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها -، ومولد الحسن والحسين - رضي الله عنهما-، ومولد الخليفة

أول من أحدث الموالد بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع الهجري، وبقيت هذه الموالد حتى أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش، ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في أوائل القرن السادس

الحاضر، وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش، ثم أُعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة بعدما كاد الناس ينسونها، وأول من أحدث المولد النبوي في مدينة إربل الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع، وقد استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا، وتوسع الناس فيها وابتدعوا بكل ما تهواه أنفسهم، وتوحيه إليهم شياطين الإنس والجن» [الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص٢٥٠، ٢٥١].

والفاطميون يزعمون نسبتهم إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وقد كذبوا في ذلك؛ لأن جدهم هو ميمون بن ديصان المعروف بالقداح [سُمي قداحًا؛ لأنه كان كحالاً يقدح العيون إذا نزل فيها الماء، انظر وفيات الأعيان ٣ / ١١٨، ولسان العرب ٢ / ٥٥٦]، وكان مولًى لجعفر بن محمد الصادق، وكان يظهر التشيع ويبطن الزندقة [الأعلام للزركلي ٧ / ٣٤١]، ثم خرج من نسله رجل اسمه «سعيد بن الحسين»، ولكنه غيَّر اسمه ونسبه وقال لأتباعه: أنا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ولقب نفسه بالمهدي.

قال الذهبي – رحمه الله –: «وعبيد كان اسمه سعيدًا، فغيَّره بعبيد الله لما دخل إلى المغرب، وادَّعى نسبًا ذكر بطلانه جماعة من علماء الأنساب، ثم ترقى، وتملَّك، وبنى المهدية، وكان زنديقًا خبيثًا، ونشأت ذريته على ذلك، وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها» [سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢١٣].

قال ابن خلكان: «وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون في دعواه النسب» [وفيات الأعيان ٣ / ١١٧].

وقال محمد بن الحسن الديلمي: «والصحيح أنهم من أولاد عبيد الله بن ميمون القداح الثنوي، وإنما أرادوا أن يؤكدوا خديعتهم للعوام بالقربة إلى العترة عليهم السلام» [بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٢١].

وقال ابن تيمية: وقد عُلم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس، أو اليهود. وهذا مشهور من شهادة علماء الطوائف: من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وأهل الحديث، وأهل الكلام، وعلماء النسب، والعامة وغيرهم، وهذا أمر أقره عامة المصنِّفين لأخبار الناس وأيامهم، حتى بعض من يتوقف في أمرهم كابن الأثير الموصلي في تاريخه ونحوه، فإنه ذكر ما كتبه علماء المسلمين بخطوطهم في القدح في نسبهم» [مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥ / ١٢٨].

وهؤلاء القوم المذكورون بهذه الصفات عند أئمة أهل العلم هم الذين أحدثوا هذه الموالد، وأدخلوها على المسلمين؛ حتى جعلوا السَّنَةَ كلها أعيادًا ومواسم، واحتفلوا بأعياد المجوس والنصارى، وهذا يدل على فساد معتقدهم وشناعة بدعهم، وقد ذكر المقريزي أعيادهم ومواسمهم على مدار العام، فقال: «وكان للخلفاء الفاطميين في السنة أعياد ومواسم، وهي: موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومولد الحسن، ومولد الحسين، عليهما السلام، ومولد فاطمة الزهراء،

﴿ الفاطميون يزعمون نسبهم إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقد كذبوا في ذلك، فإن جدهم هو ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ﴾

عليها السلام، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان [لعله يقصد السُّمُط التي تُمَدّ ويُوضع عليها الطعام، ويحدث هذا في المناسبات كما يكون في رمضان، ولعله كان عادة عند الفاطميين (العبيديين) في رمضان، انظر القاموس المحيط ٢/ ٣٨٠]،وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النيروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات» [الخطط المقريزية ٢ / ٤٣٦].

ويلاحظ من هذا السرد كثرة احتفالاتهم التي صرفوا الناس بها عن الحق والهدى والسنة، وشغلوهم بما لم يشرعه الله تعالى، وبعض هذه الأعياد هي مناسبات لغير المسلمين وأعيادهم، وذلك كيوم النيروز، وهو من أعياد الفرس، وكانوا يرشون الماء في ذلك اليوم، ويتيمنون به، وقيل أول من اتخذ النيروز عيداً أحد ملوك الفرس الأُوَل، ويقال في اسمه جمشيد أو جمشاد. [المرجع السابق ٢ / ٤٤٣].

ويوم الغطاس من أعياد النصارى، قال المسعودي في مروج الذهب: «ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها، لا ينام الناس فيها، وهي ليلة إحدى عشرة من طوبة، ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر، وقد حضر النيل في تلك الليلة: مئو ألوف من الناس من المسلمين والنصارى، وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سروراً، ولا تغلق فيها الدروب، ويغطس أكثرهم في النيل، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء».

وأما خميس العدس: فهو خميس العهد، والعامة الذين يسمونه بخميس العدس، ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام ويتهادون فيه، وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية.

والحاصل من ذلك أن العبيديين أحدثوا مواسم وأعياداً كثيرة، وكانوا يظهرون الفرح والسرور بها، وبعضها - كما أشرت إلى ذلك - من أعياد المجوس والنصارى، وهذا يدل على أنهم كانوا يرغبون من وراء ذلك نشرَ عقائد فاسدة بين المسلمين، وصرفهم عن العبادات المشروعة إلى بدع ومحدثات ما أنزل الله بها من سلطان، ولا سنَّها النبي - عليه الصلاة والسلام-، وإذ قد عرفنا أن بعض هذه الأعياد من شرائع الكفار، ومن شعائر أديانهم الباطلة، فلا يجوز للمسلمين أن يتشبهوا بهم، وأن يسيروا في ركاب باطلهم.

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «ومن المنكرات في هذا الباب: سائر الأعياد والمواسم المبتدعة، فإنها من المنكرات المكروهات، وسواء بلغت الكراهةُ التحريمَ أو لم تبلغه، وذلك أن أعياد أهل الكتاب والأعاجم نُهِيَ عنها لسببين: أحدهما: أن فيها مشابهة الكفار، والثاني: أنها من البدع، فما أُحدث من المواسم والأعياد هو منكر» [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٢ / ٥٧٨].

وقد استند القائلون ببدعة المولد النبوي إلى شبهات ظنوا أنها تؤيد عملهم، وأنه المشروع، ومن هذه الشبهة ما ذكره أبو قتادة الأنصاري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ سُئل

▭ في شهر ربيع الأول ولد النبي £ ، وفيه توفي، فلماذا يفرحون بميلاده، ولا يحزنون لوفاته؟ فالاحتفال بمولده بدعة منكرة، ولو كان فيه خير فكيف غفل عنه الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الهدى؟ ▭

عن صيام يوم الاثنين، فقال: «ذلك يوم وُلدت فيه، ويوم بُعثت أو أنزل عليَّ فيه». [أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب ٣٦، ٢ / ٨١٩، وأحمد في مسنده ٥ / ٢٩٧ وغيرهما].

والجواب عن هذه الشبهة: أن النبي £ لم يخصّ يوم الاثنين وحده بالصيام، بل كان يتحرى صيام يومي الاثنين والخميس، وذكر العلة في ذلك كما في الحديث أن مولى أسامة ابن زيد انطلق مع أسامة إلى وادي القرى يطلب مالاً له، وكان يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس، فقال له مولاه: لِمَ تصوم يوم الاثنين والخميس وأنت شيخ كبير قد رققت؟ قال: إن رسول الله £ كان يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس، فسُئل عن ذلك فقال: «إن أعمال الناس تُعرض يوم الاثنين والخميس». وفي رواية: «وأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم». [أخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٢٠٠، ٢٠١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢ / ٤٦٢].

فالحديث دلَّ على استحباب صوم يومي الاثنين والخميس؛ لأنهما يومان تُعرض فيهما الأعمال، فالاستدلال بصوم يوم الاثنين على جواز الاحتفال بالمولد في غاية التكلف والبعد، وخروج عن العلة التي ذكرها الرسول £ نفسه، وكان يصوم الخميس مع الاثنين، ولو أراد الاحتفال بمولده £ لاكتفى بيوم الاثنين فحسب.

وهناك لفتة أخرى مهمة ذكرها الشيخ محمد عبد السلام الشقيري - رحمه الله- قال فيها: «لا يختص هذا الشهر بصلاة، ولا ذكر ولا عبادة، ولا نفقة ولا صدقة، ولا هو موسم من مواسم الإسلام كالجُمَع والأعياد التي رسمها لنا الشارع -صلوات الله وتسليماته عليه وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين-، ففي هذا الشهر وُلد £ ، وفيه تُوفي، فلماذا يفرحون بميلاده، ولا يحزنون لوفاته؟ فاتخاذ مولده موسمًا والاحتفال به بدعةٌ منكرة ضلالة لم يرد بها شرع ولا عقل، ولو كان في هذا خير فكيف يغفل عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة وأتباعهم؟ لا شك أنه ما أحدثه إلا المتصوفون الأكالون أصحاب البدع، وتبع الناس بعضهم بعضًا فيه إلا من عصمه الله ووفقه لفهم حقائق الإسلام». [السنن والمبتدعات، ص١٤٠].

ثم إن النبي £ لم يصم يوم ولادته فقط، وهو اليوم الثاني عشر من ربيع الأول- إن صح أنه الذي وُلد فيه - وإنما صام يوم الاثنين الذي يتكرر مجيئه أربع مرات، وأحيانًا خمس مرات، فلو أراد الاحتفال بمولده لصام اليوم الذي وُلد فيه فقط.

ويضاف إلى هذا أن النبي £ اقتصر على الصيام فحسب، وما عليه أرباب الموالد والطُّرُقية اليوم على نقيض هذا، فهم يتناولون في هذا اليوم أشهى الأطعمة، ويتوسعون في ذلك، بل يطربون ويرقصون من خلال المدائح والأنغام التي يفعلونها، وفيها من الضلال ما فيها، وهذا في غاية البعد عن فعله £ وقصده الذي أراده من وراء صيام الاثنين، فشتان بين الفعلين والغرضين، وهل يمكن أن يكون هذا القياس صحيحًا؟!

وهناك شبهات أخرى للقائلين بالموالد أتعرض لها -إن شاء الله- في العدد القادم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حوار التوحيد مع:

سماحة قاضي قضاة فلسطين

الدكتور/ تيسير بن رجب بن حامد التميمي

المدينة النبوية: جمال سعد حاتم
إبراهيم رفعت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

إن القضية الفلسطينية، والخلافات بين فتح وحماس؛ والتي وصلت إلى حد الاقتتال، والدور الصهيوني الوقح في إشعال الفتنة بين الفصائل الفلسطينية، والأقصى المبارك الذي يشتكي إلى الله تعالى من أفعال اليهود، وحالة الهوان والضعف التي تسيطر على ردود فعل المسلمين تجاه ما يحدث في فلسطين .. كل ذلك وغيره يحتاج منا إلى استجلاء الحقيقة عند من يعيشون أحداثها.

من أجل ذلك كان هذا الحوار الذي دار بيننا وبين ضيفنا حول العديد من الأمور والقضايا التي تدور على الساحة العربية والإسلامية، والقضية الفلسطينية، وقضايا عامة تتعلق بأمة الإسلام والمسلمين.

حماس وفتح ينفذون الخطط نيابة عن إسرائيل

التوحيد: الأمة تعتصر ألمًا، وهي ترى ما يحدث بين حماس وفتح في فلسطين، وهم ينفذون خططًا للعدو؛ نيابة عنه، من خلال اختلافهم واحترابهم، وما يحدث بينهم من انشقاقات، مما أدى إلى الإضرار بهم جميعًا، فما هي رؤيتكم لهذا الواقع المؤلم وكيفية الخروج منه؟

● **الدكتور تيسير:** نحن منذ زمن بعيد كنا نحذر جميع فصائل العمل الوطني الفلسطيني من الاختلاف والتنازع؛ لأن المحتل دائمًا يعمل على بذر بذور الفتن لإحداث هذه الوقيعة والاختلاف بين أبناء الوطن، ولكن للأسف هذا ما أصاب القضية الفلسطينية بمقتل، وانقسم الشعب بين مؤيد لفتح ومؤيد لحماس، وأصبح التنازع والتناقض فيما بينهما، وتركا الاحتلال وما يقوم به من إجراءات تهويدية في القدس، وحفريات تحت المسجد الأقصى المبارك يعمل بحرية، وهذا الانقسام الذي طال، مع ما تركه من مآس، هو فرصة ذهبية للاحتلال لتنفيذ مخططه الصهيوني الذي يستهدف المسجد الأقصى المبارك لطمس هوية فلسطين ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١]، هذه الأرض المباركة المقدسة التي بارك الله فيها للعالمين، يحدث فيها هذا الانشقاق الإسلامي، وإسرائيل الآن تستثمر ذلك، وتسعى في محاولة لطمس هذه الهوية الإسلامية بإقامة الهيكل المزعوم.

الألم يعتصر قلب كل مسلم!!

نحن أكرمنا الله سبحانه وتعالى كي نعيش في فلسطين؛ لنكون سَدَنة مقدساتها، ونحن الذين قال فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام: « لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء؛ حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس» [السلسلة الصحيحة ٤ / ٥٩٩، للألباني وقال: له شاهد بنحوه].

وأنا أشعر بالحزن، والألم يعتصر قلبي، كما يعتصر قلب كل مسلم، على هذا الاختلاف بين فتح وحماس، مما جعل الشعب الفلسطيني المجاهد ينحرف عن المهمة الأساسية التي أرادها الله له، بأن يدافع عن هذه الأرض المباركة، وأن يكون سادنًا لها وللأقصى، ليدخل في دوامة المعارك الداخلية فتضيع الطاقات، وتتبدد الجهود، بل إن الحراب صارت توجه إلى صدور الفلسطينيين!!

الأجندات الأجنبية وحالة الهوان والضعف التي تمر بها الأمة، وقفا حائلاً دون نجاح محاولات التقريب والإصلاح بين الفصائل الفلسطينية

تعتصر الأمة ألمًا وهي ترى ما يحدث بين حماس وفتح في فلسطين، وهم ينفذون خططاً للعدو نيابة عنه من خلال اختلافهم واحترابهم

التوحيد: محاولة الإصلاح بين فتح وحماس لجمع الشمل الفلسطيني، هل لكم مبادرات في هذا الشأن، وما رأيكم في المبادرات التي طُرحت من دول عربية، وعلى رأسها مصر والسعودية؟

- نعم، كانت مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز هي المبادرة الأولى وهي السبّاقة، وكانت تحمل روح القائد المسلم المحب الناصح الصادق، روح المخلص لأمته ولأبناء هذه الأمة، حين دعا قادة فتح وحماس إلى مكة المكرمة؛ فاجتمعوا في رحاب البيت، وجعلهم يقفون أمام الكعبة يتحملون مسئولياتهم أمام الله وأمام شعبهم، وقام الجميع بأداء العمرة، وأدى العمرة معهم وتعاهدوا عند أستار الكعبة أن يلتزموا بهذا الاتفاق، وأقسموا عليه في رحاب بيت الله الحرام، وعندها اطمأن كل مسلم وكل محبّ للمسلمين على هذه الاتفاقية وسعدوا بها.

ولكن مع الأسف سرعان ما نقضوا العهد من قبل الجانبين فتح وحماس، وبدأت المشاكل والمصادمات، وسالت دماء أبناء المسلمين وأبناء الشعب الفلسطيني مجددًا وسط ذهول المسلمين وذهول العالم الإسلامي كله.

كيف يقسمون أمام البيت ويتعاهدون أمام الكعبة، ثم يتناسون كل ذلك ويعودون للتعارك مجددًا، ومصر لا تكل ولا تملّ في رأب الصدع الفلسطيني؛ لأن مصر تعتبر وحدة الشعب الفلسطيني وخروج فلسطين من هذا الوضع مسألة أمن قوميّ بالنسبة لها، ونحن نعتبر مصر الآن هي الطريق الحقيقي والطبيعي لمحاولة التوفيق بين الجانبين؛ لأنها تعد طرفًا بحكم الجوار والعمق الاستراتيجي بين مصر وفلسطين.

ولكن للأسف كأن هناك جهات أجنبية تسعى لبقاء هذا التنازع والاختلاف، وبقاء هذا البون الشاسع، وهذا الخلاف الكبير؛ فهي لا تريد له أن ينتهي، وهذا التنازع لا يصبّ إلا في مصلحة الاحتلال، والله تعالى دعانا إلى الاعتصام بحبل الله جميعًا وحرَّم الفرقة، قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾، وقال سبحانه ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾، ولكني للأسف أقول: إن الاحتلال وجد في هذا الاختلاف فرصة ذهبية، وحين نذهب إلى أي جهة عربية تقول لنا: اتفقوا أولاً.

بطاقة تعريف

اسمي: تيسير بن رجب بن حامد التميمي، يعود نسبي إلى الصحابي الجليل تميم الداري، الذي أسلم على يد النبي ﷺ في المدينة النبوية سنة ٩هـ، وعاد إلى فلسطين، وكان أول من أسلم من أهل فلسطين، وكان أول داعية للإسلام فيها.

تعلمت في الأزهر الشريف، وحصلت على شهادة الدكتوراه في الفقه المقارن، وعملت بالقضاء الشرعي في فلسطين، وأنا الآن أتبوأ أعلى منصب قضائي، وهو قاضي قضاة فلسطين، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي، والأمين العام للهيئة الإسلامية العليا في القدس، وخطيب المسجد الأقصى وخطيب الحرم الإبراهيمي الشريف، وقد مُنعت من دخول المسجد الأقصى بقرار من إسرائيل الظالمة، ولو دخلت سأعتقل، هكذا ينص القرار!!

▹▹التوحيد: إذنْ لا بد من الإصلاح الداخلي يا سماحة الشيخ، لا بد من مراجعة النفس في الداخل.. أنتم تحتاجون إلى دور أشقائكم كمصر والمملكة العربية السعودية وغيرهم، ولكن يبقى الدور الأكبر والأهم دوركم؟

– نعم، لقد حاولنا كثيرًا وبيّنا للجميع حديث النبي £ :«إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار» [البخاري ٦٨٧٥، ومسلم ٢٨٨٨]، كيف تقولون للفريق الآخر إنه مسلم وقضية التخوين مصيبة المصائب!!!

جهات أجنبية وإقليمية وراء إشعال الفتنة

▹▹التوحيد: الأجندات الأجنبية التي وقفت حائلاً دون نجاح المحاولات التي بذلت، سواء من السعودية أو مصر، أو كل الجهات المحبّة والمخلصة للقضية الفلسطينية، هل تعتقدون أنه يجب الإعلان للعالم كله عن الجهات التي وقفت ضد هذه المصالحة، وعن الطرف الفلسطيني الذي ساعد على إفشال هذه المصالحة علانية؛ حتى يكون هناك موقف واضح يجعل جموع العالم الإسلامي تتصرف تصرفًا واضحًا في هذا الأمر؟ هل هناك أمور خافية؟ وهل هناك من يعمل في الخفاء؟

الدكتور تيسير:- هذه الجهات الأجنبية أو الإقليمية أو ما شابه ذلك بدون شك لها مصلحة في الاحتراب الفلسطيني، وفي إسالة دماء المسلمين وفي ضياع القضية، ولكن العيب فينا نحن، العيب في فرقتنا، كيف نكون أداة طيعة لذلك؟! ومصلحة الشعب الفلسطيني في وحدته، وإذا اختلفوا في سبيل الوصول إلى الرأي الأصوب فلا مشكلة، ولكن الاختلاف في أمور جوهرية تعد مصيبة تخدم العدو، ونحن أرض الرباط، وأرض الإسراء والمعراج، يجب ألا نكون ورقة يلعب بها كل من أراد تحقيق مصلحته مهما كانت الذرائع.

الغزاة يندحرون على مر التاريخ

هذه الأرض التي بارك فيها وما حولها للعالمين، وباركها في آية الإسراء، وكلما وقعت فلسطين تحت احتلال الغزاة على مر التاريخ كانت الأمة دائمًا تتحرك.. لهذا أقول: إن قضية فلسطين ليست شأنًا فلسطينيًا فقط، يجب ألا نترك للفصائل الفلسطينية أن يختلفوا ويتفقوا، بل يجب على الأمة أن تتحرك لإنهاء هذا الخلاف أولاً، ثم لتحرير هذه الأرض من الاحتلال؛ لأن قضية فلسطين عقدية، وطرد الاحتلال عن هذه الأرض واجب شرعي.

فلسطين قضية عقيدة

يعلم الجميع أن كل من حرر فلسطين من المحتلين ليسوا من فلسطين، بمعنى أن كل القادة الذين حرروا فلسطين في السابق ليسوا فلسطينيين أساسًا، فالقائد صلاح الدين الأيوبي، وبيبرس، وقطز ليسوا من فلسطين، ولكنهم قادة مسلمون حرروا فلسطين.

ومما يؤكد أن فلسطين قضية عقيدة قول النبي £ : «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» [البخاري ١١٨٩]، فهذه المنظومة الإيمانية بين هذه المقدسات توجب على الأمة الحفاظ عليها، والدفاع عنها.

ماذا قدمت منظمة المؤتمر الإسلامي؟

ويواصل الشيخ حديثه قائلاً: وكما أن مكة للمسلمين كافة فكذلك فلسطين. وأنا أقول: إن الموقف الذي ذُكر في المؤتمر الإسلامي الذي ضم كل الدول الإسلامية بعد إحراق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م، نص في بيان تأسيسها على أنها نشأت للدفاع عن القدس، وحماية المسجد الأقصى، سبع وخمسون دولة ماذا فعلت للقدس؟! إذا استثنينا دولة أو دولتين، ماذا فعل كل هؤلاء وماذا قدموا؟ بينما يهودي واحد يدعى (ماشكوفيتش) أقام مستوطنة بكاملها في القدس، ويعزز بناء المستوطنات في القدس، أين ثروات المسلمين أين تذهب؟ وأين زكوات هذه الأموال؟ لماذا الداعمون دائمًا دولة أو دولتان فقط؟

تخاذل إسلامي وانقسام فلسطيني وتواطؤ دولي

ويؤكد الشيخ على وجود التواطؤ والتخاذل من كل المجتمعات قائلاً: إن الناظر إلى القضية الفلسطينية بعين فاحصة يتضح له أن هناك تخاذلاً إسلاميًا، وانقسامًا فلسطينيًا وتواطؤًا دوليًا..

هذه العوامل مجتمعة شجعت إسرائيل على تنفيذ مخططاتها في القدس، والقدس الآن أصبحت يهودية، محرمة على أبنائها المسلمين.. هل تدرك أن إمام المسجد الأقصى ممنوع من أن يصلي بالمسلمين في المسجد الأقصى، وأنا كذلك ممنوع من أن أخطب في المسجد الأقصى أو أصلي فيه؟

وهذه مصيبة، لقد سألني أحد الإخوة عن كيفية دخولي القدس؟ قلت له: أخلع عمامتي وجبتي وألبس الكوفية وأضع العباءة وأحمل العصا كرجل عجوز، يعني متنكرًا، أصبحنا ندخل الأقصى بهذه الصورة، وهذا من الذل الذي أصاب الأمة؟!! هذه هي المهانة، وهل هناك مهانة أكثر من ذلك؟!

دوركم في درء الفتنة بين المتنازعين!!

التوحيد: فضيلة الشيخ وأنت قاضي قضاة فلسطين، وفلسطين بلد العلماء والفقهاء الكبار، وباعتباركم جهة شرعية محايدة لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، في ظل تأجج الصراع بين فتح وحماس، ما الدور الفعّال الذي قمتم به منذ بدء الصراع بين فتح وحماس، وهل في وسعكم بذل المزيد؟

– لقد حاولنا وقمنا بأكثر من دور، فقد كان معي مجموعة من العلماء الفلسطينيين، وأسدينا للجميع النصيحة، ولكن لا التزام، ولم يصغ لنا أحد.

وقد دعوت العلماء أن نخرج إلى الشارع، ونعتصم ونتكلم، ونحاول أن نخرج هؤلاء من الشحناء والنزاع، ولكن للأسف الوضع لا يبشر بخير، نسأل الله أن يعودوا إلى صوابهم ورشدهم، وأن يلهمهم الصواب والتوفيق، وأن يعودوا إلى خندق القدس، فالقدس تتعرض لمخاطر التهويد والتهجير، والفلسطينيون يطردون من أراضيهم، وحوصرت غزة ودمرت عن آخرها، وأهلها يفترشون الأرض لا يراهم إلا الله سبحانه وتعالى، ولا مغيث لهم إلا الله جلّت قدرته، والفلسطينيون يختلفون ويحتربون وعدوهم ينهش في كل لحظة.

التنازع كله شر ودمار ونهايته الفشل والخسران

التوحيد: في ظل هذا الوضع المؤلم، لماذا لا يعلن عن الجهات التي تسببت في هذه الكوارث على مرأى ومسمع من العالم كله، وأنت ترى الآن الآلاف من المشردين في غزة، ينامون في الشوارع في برد الشتاء؟ إلى متى تستمر المزايدات؟ وإلى متى يستمر السكوت؟

– الأمر لا يحتاج أن نقول (س، ص)، الأمر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، لا يحتاج منا إلى كثير إيضاح، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يعودوا لرشدهم، وأن يتمسكوا بالتوجيهات النبوية، وبأوامر الله عزَّ وجل، والرسول ﷺ بيّن أن « المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا. وشبك أصابعه» [البخاري ٤٨١]، وهذه العلاقة تستوجب رصّ الصفوف، بينما هذا التنازع لا يؤدي إلى خير، بل إلى شر، وقد وجدنا نتائج هذا النزاع المدمر، ولمسنا بأنفسنا عواقب الخلاف والتمزق الذي ذقنا مرارته.

الاختلاف على سلطة تحت الاحتلال، ودنيا زائلة

وقال الشيخ متسائلاً: أنا لا أعرف علامَ يختلفون؟ هل يختلفون على سلطة تحت الاحتلال؟ هل يختلفون على مناصب ودنيا زائلة؟ إن أهل هذه الأرض المباركة أكرمهم الله أن يكونوا من المجاهدين، نحن بهذا الاختلاف نتخلى عن دورنا وما أراده الله عزَّ وجلَّ لنا.

الدور المفقود للعالم الإسلامي مقابل الخطط الصهيونية!!

التوحيد: وما الواجب على العالم الإسلامي تجاه خطط إسرائيل التوسعية، وتجاه المستوطنات، وتجاه تهجير وطرد الفلسطينيين، وكذا الحفريات والخنادق تحت الأقصى المبارك من قبل الاحتلال الصهيوني، ما الواجب العملي بدلاً من البرامج والمؤتمرات التي لا تغني ولا تسمن، ولا تغير واقعًا، وماذا يجب على الدول التي لها علاقات مع الغرب أن تفعل للخروج من هذه الكارثة؟

– اسمح لي أن أقول بصفتي قاضي القضاة في فلسطين أن أقول: إن على الأمة بكاملها تحرير القدس، وهذا من أوجب الواجبات على الأمة، ويجب على الأمة تحرير المسجد الأقصى بدل انقسامها، بسبب عدم وجود إرادة وقيادة، لو توفرت القيادة والإرادة مع هذه الإمكانيات الموجودة التي لا تُعد ولا تحصى لنصرنا الله، ولكن لا بد من استراتيجية عمل موحدة من داخل الشعب الفلسطيني ومن خارجه.

كل من يتآمر على مقدساتنا سيلقى مصيرًا محتومًا بإذن الله!!

التوحيد: إرادة عربية أو إسلامية حقيقية تواجه هذا الصراع.. في رأيك كيف نوجدها؟

– سيدي هذه قضية عقدية، وأنا أذكر هنا هذا الجراد الذي جاء وأكل الأخضر واليابس على عهد النبي عليه الصلاة والسلام فجاء الصحابة يستغيثون فقالوا: ادع الله سبحانه وتعالى أن يصرفه إلى بيت المقدس!

هل أنت تتمنى الضرر لأهل بيت المقدس؟ قال: لا، بل هذه أرض مباركة لا يعمر فيها ظالم، ولكن هذه قضية ربانية، كل من يتواطأ على شعبها ومقدساتها سيلقى مصيرًا محتومًا بإذن الله، سيهلك الظالم بمشيئة الله تعالى.

التوحيد: ولكن كيف الخروج من هذه الأزمة؟

– أنا أدعو الله أن يطهّر القلوب من حب الدنيا، وقد أخبر النبي ﷺ أن الأمة سيأتي عليها وقت تكون كغثاء السيل، قالوا: أوَ من قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم،

وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت. [أبو داود ٤٢٩٧، وصححه الألباني].

حب الدنيا.. هذه الدنيا الزائلة التي يتآمرون من أجلها، ستزول هذه الدنيا، والمشكلة هي الربط بين قلوب هذه الأمة وبين دينهم وعقيدتهم. ولكن للأسف تاهوا في أزقة ومنزلقات هذه الدنيا الفانية؟!! هنا المشكلة متى أدركنا حجم المشكلة سهل الحل.

الأقصى يناشد المسلمين الاستيقاظ من الغفلة!!

التوحيد: نتابع الحديث مع سماحة الدكتور تيسير التميمي، ونسأله عن التحديات التي تواجه المسجد الأقصى الشريف والحفريات التي يقوم بها العدو كي يصل إلى مأربه وغرضه الخبيث، فنرجو من الشيخ إلقاء الضوء حول هذه القضية؟

– المسجد الأقصى هو مسرى نبينا محمد ﷺ، وهو عنوان فلسطين، وإسرائيل تريد أن تطمس هذه الهوية عن فلسطين. ومنذ أن احتلت إسرائيل القدس عام ١٩٦٧م، قالوا: إننا نبحث عن أثر للتاريخ اليهودي، وبدءوا الحفر تحت الأقصى المبارك، وبعد عدة سنوات خرجوا علينا بقول عالمهم: إننا لم نعثر على أي أثر للتاريخ اليهودي، أو الهيكل المزعوم، وقال: إننا سنواصل الحفريات تحت أساساته حتى يسقط المسجد، والوضع الآن خطير للغاية. وإسرائيل أزالت الصخور التي يقوم عليها المسجد، وحطمت الصخور بمواد كميائية حتى أقامت الآن شبكة من الأنفاق تنتقل من المستوطنات المحيطة بالمسجد الأقصى حتى أساسات المسجد الأقصى.

فنتيجة هذه الحفريات انهارت أجزاء من ساحات المسجد الأقصى، وإسرائيل تراهن على زلزال أو هزة أرضية، ليسقط المسجد الأقصى؛ لتقول: إنه سقط بعامل طبيعي خارج عن إرادة الجميع. وإسرائيل والجماعات اليهودية المتطرفة قالوا بأنه إن لم يُهدم بعامل طبيعي سيقصف بصواريخ من الجو، فالأمر خطير جدًا.

ولقد اتخذوا قرارًا غريبًا بتحديد سن من يدخل الأقصى؛ فإذا لم يتجاوز الشخص الخمسين من عمره لم يسمح له بالصلاة فيه، ووضعوا نظامًا لذلك، حددت إسرائيل من الذي يصلي ومن الذي لا يصلي!

اليهود يقتحمون الأقصى كل يوم!!

ناهيك عن أن الجماعات اليهودية المتطرفة في كل يوم – بدعم من حكومة نتنياهو ومن قبله أولمرت– تقتحم ساحات المسجد الأقصى لأداء الصلوات التلمودية في ساحاته!!!

إسرائيل تسعى لاحتلال أجزاء من المسجد الأقصى كما حصل في المسجد الإبراهيمي بالخليل بعد المجزرة التي ارتُكبت عام ١٩٩٤م في صلاة الفجر في منتصف رمضان يوم الجمعة، فقد أطلقوا النار على المصلين، واستولوا على أكثر من ثلثي ساحاته؛ بحجة الحفاظ على أمن المستوطنين الذين يدخلونه، فهم الآن يسعون لتخريب أجزاء من المسجد الأقصى، ولذلك استولوا على مفاتيح باب المغاربة فلا يستطيع أي مسلم أن يدخل منه أو يخرج من الجهة الغربية الجنوبية، ويبعد عن المسجد المسقوف أقل من مائتي متر، ومساحة المسجد الأقصى (١٤٤ ألف متر)، ويتسع لأكثر من نصف مليون مسلم، والمسجد المسقوف مساحته ستة آلاف متر، ومسجد قبة الصخرة القبة الذهبية التي تعلوه ألف متر فقط.

وللأسف الإعلام الإسلامي والعربي يسلط الضوء على قبة الصخرة فقط، والصور الموجودة في كل الإعلام الإسلامي هي صور قبة الصخرة، وليست للأقصى، وهذا فيه خطر وتلبيس على الناشئة، والحفريات تجري في الجانب الآخر، ونحن نصرخ وهم يقولون هذا المسجد، بينما هو قبة الصخرة.

والساحات ليست مستوية والمسجد المسقوف ينخفض عن قبة الصخرة حوالي ستة عشر مترًا، فنخشى بعد إقامة هذه الشبكة الكبيرة من الأنفاق ليس فقط تهدم البيوت الفلسطينية حول المسجد الأقصى، بل يهدم كل شيء.

وإسرائيل الآن تحاول أن تغيّر كل ما هو فلسطيني وإسلامي، فالشوارع تغيّرت أسماؤها، فمثلاً شارع السلطان سليمان سموه حازقان، وشارع عمر بن الخطاب سموه دانيال؛ تغييرًا للثقافة. إسرائيل تعمل وتعبث ليلاً ونهارًا، والمسلمون غافلون، فهناك انتهاك خطير لحقوق الإنسان في وطنه وأرضه، وإسرائيل منذ احتلال القدس أصدرت قانونًا بضمها للكيان الصهيوني، ولا يجوز أن تضم لكونها محتلة، وطبّقت قوانينها الإسرائيلية وصادرت المزيد من الأراضي، وأقامت المستوطنات في كل مكان، والتهمت ٢٥٪ من أراضي الضفة الغربية وضمتها للقدس.

لا يوجد مشروع إسلامي لمواجهة مخططات إسرائيل

فإسرائيل تخطط لمشروع أن يكون عدد اليهود في القدس مليون يهودي عام ٢٠٢٠م، بنسبة ٩٠٪ يهود و١٠٪ فلسطينيين فقط، وبعد إقامة هذا الجدار الآن أكثر من مائة ألف مقدسي أصبحوا خارج الجدار. وللأسف لا يوجد أي مشروع عربي ولا فلسطيني ولا إسلامي لمواجهة هذا المخطط اليهودي.

القدس بكل صراحة أصبحت مدينة يهودية محرَّمة على المسلمين، وحتى المسيحيين تناقص عددهم بشكل حادّ، وعندما احتل اليهود القدس عام ١٩٦٧م كان عدد المسيحيين فيها ثلاثين ألفًا، والآن تناقصوا خمسة آلاف؛ لا يستطيعون أن يعيشوا في هذه المعاناة.

التوحيد: هناك مفاوضات ومناقشات لا تؤدي إلى نتيجة، فماذا جنت فلسطين من هذه المفاوضات؟

– لا طائل من المفاوضات، وأنا أعتقد أن إسرائيل لن تعطينا شيئًا عن طريق هذه المفاوضات، ولا بالمقاومة التي توقفت الآن، وحتى عندما قررت حماس عقد هدنة زادت إسرائيل في المستوطنات ودمرت ما دمرت.

ضرورة العمل والبحث عن حل بدلاً من التخوين المتبادل

التوحيد: حماس ومن خلال الحرب الأخيرة مع إسرائيل أوجدت هوة كبيرة بين العرب، بين مؤيد ومعارض؟ أين المشكلة هنا ومن المسئول؟ وكيف انجر الفلسطينيين إلى ذلك؟

– حماس لم تبدأ بالمعركة، ولكنها جُرت إلى المعركة. حماس انفعلت ودخلت في معركة شرسة جُرت إليها ولم تستعد لها، هي لم تحارب، حماس انفعلت؛ لأنها لم تجد التهدئة، وقد قتل أناس لا علاقة لهم بحماس، ولما وافقت حماس على التهدئة انسحبت إسرائيل من قطاع غزة، ونحن الآن في فصل الشتاء نرى عشرات الآلاف من العائلات يفترشون الأرض والسماء تظلهم.

وأنا أقول: إن التقصير من الطرفين فتح وحماس، ويجب عليهم أن يتقوا الله فهذه هي القضية المركزية بالنسبة للأمة، وبدلاً من تخوين بعضنا بعضًا فليعمل كل منا؟ أين العمل وكل واحد يتهم الآخر باتهامات، وإذا ما اتفقنا سنجبر العالم على الوقوف معنا.

الخلافات على السلطة تؤدي إلى الدمار

التوحيد: ما أداة العمل الفعّالة لجمع الشعب الفلسطيني وفصائله؟

– هناك أكثر من ثلاثة عشر فصيلاً، ولكن أكبر فصيلين فتح وحماس، والباقي تابع لهما، وهما أكثر الفصائل المؤثرة، وأنا أعتقد أن كل هذه الخلافات شخصية على السلطة، وليس هناك إخلاص للقضية، والمقاومة هي حق للشعب الفلسطيني، ولا خلاف بين من هو مخلص لهذه القضية، كي يحرر أرضه، وإسرائيل لن تعطينا شيئًا بدون القوة.

والمقاومة الفلسطينية لها أشكال متعددة، ولكن في رأيي استعمال القوة يجب أن يكون من الخارج، ماذا ستفعل البندقية والمسدس أمام هذه الغطرسة العسكرية الإسرائيلية، بل يجب أن تكون القوة العسكرية من الخارج كما فعل السابقون.

ولا يمكن أن يكون للسلام مكان حتى يتوقف الاستيطان، ولا أمل للمفاوضات ما لم يتوقف الاستيطان. كما قال الرئيس عباس إنه لن يرشح نفسه في الانتخابات القادمة، والمصيبة أن الذي يفاوض لا يفاوض والمقاوم لا يقاوم، وما فعله الاحتلال من اغتصاب وقتل وإقامة مستوطنات يكفينا، وتقرير (جولدستون) مثلاً أدان إسرائيل وحماس، وساوى فيه بين الضحية والجلاّد، وقال: إنه ربما تكون إسرائيل قد ارتكبت ما يسمى بجرائم حرب، أما بالنسبة لحماس فقال: إنها ارتكبت خطأ بإلقاء الصواريخ على إسرائيل.

إذا استمرت الأمة على الضعف والهوان فلن يكتب لها الفلاح

التوحيد: الأمة الآن تعيش في حالة من الضعف، وكما قلت فضيلتكم: إنه لم يساندكم، ولم يقف معكم سوى دولتين أو ثلاث أو أكثر بقليل، والعالم الإسلامي أكثر من خمسين دولة؟

– الرسول عليه الصلاة والسلام رسم لنا الطريق إذا بقيت الأمة في ذل وهوان؛ فلن يكون لنا خير، ولن يكتب لنا نصر ولا فلاح.. على الأمة الإسلامية أن تنهض وتقوى، ويصبح لها شأن، عليها أن تغير ما بنفسها لينصرها الله، وصدق الحق تبارك وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

■■■ ●●● ■■■



سورة يس

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

نائب الرئيس العام

الحلقة الثالثة

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا

تفسير الآيات

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ التطير هو التشاؤم، يقولون: أنتم شؤم، وما رأينا خيرًا منذ قلتم ما قلتم، وهذا فعل الجهلة السفلة الذين لا يعقلون، أن يتشاءموا بمن جاءهم بمحض الخير، برسل الله عليهم الصلاة والسلام، وهل يأت رسول الله إلا بالخير؟ ولكن شأن الجهلة السفلة دائمًا يتشاءمون بمن يخالف شهواتهم، ويتيمنون بمن يوافق هواهم ولذاتهم، والرسل -كما هو معلوم- جاءت بما يخالف هوى النفس والشيطان.

ثم علت الأصوات وارتفعت حدتها فأخذوا يهددون قائلين للرسل ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ يعني عما تقولون ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾، أي: لنقتلنكم شر قتْلَة، نقتلكم رميًا بالحجارة حتى الموت، ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهكذا أكدوا التهديد بالقسم ونون التوكيد الثقيلة ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قالت لهم رسلهم: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ سبب الشؤم أنتم لا نحن، ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، الشؤم منكم أنتم، وليس منا نحن، بكفركم بربكم وتكذيبكم رسله أصابكم ما أصابكم.

﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ جواب الشرط محذوف تقديره ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ تشاءمتم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ تجاوزتم الحدَّ في كل شيء في الكفر والتكذيب والعناد والمعاصي.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ لينقذ قومه من الضلال المبين، والعذاب المهين، ويدعوهم إلى قبول دعوة المرسلين والإيمان بهم، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ باستعطاف واسترحام أضافهم إلى نفسه ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الرسل أناس مهتدون في أنفسهم، ويدعونكم إلى الهدى، ولا يطلبون منكم مالاً، ولا يسألونكم أجرًا. فقالوا: وهل أنت مخالف لديننا ومتبع لهؤلاء الرسل؟ قال: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ نعم أنا على دينهم، وما الذي يمنعني

أن أعبد الله، وهو الذي خلقني، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

ففرّق بين الفطرة والرجوع، فنسب الفطرة إليه والرجوع إليهم؛ لأن إضافة الفطرة إلى نفسه فيها حثٌّ على شكر نعمة الله سبحانه وتعالى؛ فهو أليق به. وأما ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أنتم؛ فهذا فيه إنذار وتخويف، وهم أحق بالتخويف والإنذار، وقد كثر في القرآن الكريم التخويف من يوم الدين، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥].

﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ أيصح هذا؟ والحال أنها ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ كيف أعبد آلهة لو أرادني الله بسوء لا ترده عني! ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢].

﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ لأنهم لا يملكون الشفاعة أصلاً ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ من عذاب الله وضره وبأسه إذا نزل بي، ﴿إِنِّي إِذًا﴾ لو اتخذت من دون الله آلهة ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فكل من عبد غير الله فهو ضالٌّ؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا الله سبحانه وتعالى، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، وكل ما سوى الله مخلوق مربوب مملوك لله سبحانه وتعالى، فكيف أعبد المخلوق المربوب المملوك، وأترك الخالق المالك مدبر الأمر كله؟!

وانتهى الحوار مع قومه، فأقبل على رسل الله يقول لهم: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ فاشهدوا لي بهذا الإيمان عند ربكم يا معشر الرسل يوم القيامة، فلما قال هذا القول سارعوا إليه فقتلوه، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ يعني فقُتل فدخل الجنة على الفور، فلا يحول بين المؤمن ودخول الجنة إلا الموت، فإذا مات المؤمن دخل الجنة، فالموت ليس النهاية، إنما الموت نهاية لحياة التعب والنَّصَب واللغوب، وحياة الضيق والكرب، والهم والحزن، وبداية لحياة كلها سعادة، سعادة أبدية لا تنتهي، ولا تفنى ولا تبيد.

فلما دخل الجنة ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾؛ لأن المؤمن ناصح للناس في حياته وبعد مماته، والمؤمن لا يحمل حقدًا على الناس، ولا حتى على الذين أساءوا إليه في حياته ولا بعد مماته، قتلوه! لا لشيء إلا أنه قال: لا إله إلا الله، فلما دخل الجنة نصح لهم بعد موته، كما نصح لهم في حياته.

فلما بادروا بقتله أهلكهم الله أجمعين.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾: لما أصرُّوا على الكفر والتكذيب والعناد، وقتلوا الناصح الأمين، الذي جاء من أقصى المدينة يسعى لينقذهم من الضلال المبين، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين، لما قتلوه ثأر الله له فأهلكهم أجمعين.

لكن الله سبحانه وتعالى لم ينزل عليهم ملائكة من السماء تحاربهم: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاحها جبريل عليه السلام فيهم، وقف على مدخل القرية وصاح فيهم صيحة. ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ جميعًا ﴿خَامِدُونَ﴾ بصيحة واحدة ماتوا أجمعون، ولم ينزل عليهم جند من السماء لهوانهم على الله.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ الحسرة شدة الندم تصيب الإنسان فتتركه حسيرًا، أي منهكًا ضعيف القوى متعبًا، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤]، ككليل متعب منهك القوى، والكفرة الفجرة يتحسرون إذا نزل بهم العذاب في الدنيا، ويتحسرون إذا نزل بهم العذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ

السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٤-٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

فقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ نداء من المعذبين حين رأوا العذاب في الدنيا، ويكون منهم أيضًا يوم القيامة حين يرون العذاب في الآخرة. وقيل هذا ترحمٌ من الله عز وجل على العباد، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أما ترى أنك لو رأيت أحدًا مصابًا فإنك تتحسر رحمة به، فقيل قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ ترحم من الله تعالى بهؤلاء العباد، وأنهم ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وكان الواجب على هؤلاء أن يعتبروا بوحدة مصير المكذبين من قبلهم: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ السؤال للتكثير ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾، قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٤]، لبالمرصاد لكل ظالم، ولكل باغٍ، ولكل مذنب، ولكل طاغية.

فلماذا يصر هؤلاء الكفار على الكفر، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى أهليهم ومساكنهم، كما قال تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، فمن مات لا يرجع إلى الدنيا، وإنما هو حبيس القبر إلى يوم القيامة، فيرجعون جميعًا إلى الله عز وجل، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ففي عدم رجوع الموتى إلى أهليهم ما يفيد العاقل أنه لاحقٌ بهم، كما قال بعضهم:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليَّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة ... حيث صار الناس صائر

﴿وَإِنْ كُلٌّ﴾ من الذاهبين واللاحقين من الذين مضوا والذين لم يمضوا ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٣]، وقال تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ١٦-٢١].

فاعتبروا يا أولي الأبصار، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٥٤-٦١].

إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

الحلقة العشرون

إعداد المستشار / أحمد السيد علي

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وبعد:

فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن إمامة القاعد للقائم، ونكمل الحديث عنها فنقول وبالله تعالى التوفيق:

خامسًا: حكم صلاة المأمومين الأصحاء خلف الإمام القاعد المعذور:

اختلف الفقهاء في حكم صلاة المأمومين على رأيين:

الرأي الأول:

أنهم يصلون خلفه قيامًا، ولا تجوز صلاتهم قعودًا، وهو مروي عن أبي حنيفة والشافعي وبعض المالكية والثوري وأبي ثور والحميدي.

دليله:

١- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ استخلف أبا بكر، ثم إن النبي ﷺ وجد في نفسه خفة؛ فخرج بين رجلين، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد. [متفق عليه].

فأبو بكر والصحابة - رضي الله عنهم أجمعين- صلوا قيامًا خلف النبي ﷺ الذي صلى قاعدًا.

٢- هذا آخر الأمرين من رسول الله ﷺ، فدل ذلك على نسخ الحكم الأول، وهو القعود خلف الإمام القاعد، فإن ذلك كان في مرض قبل هذا بزمان - أي قبل خروجه في مرض الموت حين آلى من نسائه ﷺ.

٣- لأنه ركن قدر عليه فلم يجز له تركه كسائر الأركان.

الرأي الثاني:

أنهم يصلون خلفه قعودًا، وهو مروي عن أحمد والأوزاعي وإسحاق وابن المنذر.

دليله:

١- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبَّر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا صلى جالسًا فصلوا جلوسًا أجمعون». [متفق عليه].

فقوله: «صلوا جلوسًا أجمعون». وفي رواية: «فصلوا قعودًا أجمعين» أمر، والأمر المطلق عن القرائن يفيد الوجوب، وليس ثمة قرينة تصرف عن الوجوب إلى الاستحباب أو الإباحة.

٢- وعن جابر رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمع الناسَ تكبيرَه، فالتفت إلينا فرآنا قيامًا، فأشار إلينا فقعدنا.

فإشارته ﷺ للصحابة بالجلوس دليل على أن الجلوس واجب.

٣- لأنها حالة قعود الإمام؛ فكان على المأمومين متابعته كحال التشهد.

٤- لأن صلاة القائم والقاعد واحدة، فإن القعود قيام مقصود؛ لأن كماله باستواء النصفين، وقد وجد نصفه فكان بمنزلة اقتداء المستوي قائمًا بالمنحني ظهره حتى كان كالراكع، فلما لم يوجب فوات استواء النصف الأعلى عدم جواز الاقتداء لم يوجب أيضًا فوات استواء النصف الأسفل عدم جواز الاقتداء؛ لأنهما سواء في تكميل القيام واسم النصف.

مناقشة الأدلة:

أ- اعترض أصحاب الرأي الأول على أدلة الرأي الثاني بما يلي:

١- بأن أحاديثهم منسوخة بما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها من أن الصحابة صلوا خلف أبي بكر رضي الله عنه، وهو يصلي خلف النبي ﷺ قائمًا وهم قائمون، فكان هذا آخر الأمرين منه ﷺ.

٢- قياسهم على حالة التشهد قياس مع الفارق؛ إذ إن التشهد الأصل فيه القعود، بينما القيام ركن لا يسقط إلا بالعجز، وليس ثمة عجز يلحق بالمأمومين.

اعترض أصحاب الرأي الثاني على أدلة الرأي الأول بما يلي:

١- أن حديث عائشة رضي الله عنها ليس فيه حجة؛ إذ وردت روايات أخر تفيد أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو الإمام: ومنها ما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى خلف أبي بكر في مرضه الذي مات فيه قاعدًا. [رواه الترمذي ٣٦٢، وصححه الألباني].

وما رواه أنس رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ في مرضه خلف أبي بكر قاعدًا في ثوب متوشحًا به. [رواه الترمذي ٣٦٣، وصححه الألباني].

قال البيهقي: «لا تعارض، فالصلاة التي كان فيها إمامًا صلاة الظهر يوم السبت أو الأحد، والتي كان فيها مأمومًا الصبح من يوم الاثنين، وهي آخر صلاة صلاها حتى خرج من الدنيا، ولا يخالف هذا ما ثبت عن الزهري عن أنس رضي الله عنه في صلاتهم يوم الاثنين، وكشف الستر، ثم إرخائه؛ فإنه كان في الركعة الأولى، ثم إنه ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج فأدرك معه الثانية، فدل عليه ما ذكر موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري، وذكر أبو الأسود عن عروة أنه ﷺ أقلع عنه الوعك ليلة الاثنين؛ فغدا

إلى الصبح يتوكأ على الفضل بن العباس رضي الله عنهما وغلام له، وقد سجد الناس مع أبي بكر رضي الله عنه حتى قام إلى جنب أبي بكر، فاستأخر أبو بكر فأخذ ﷺ بثوبه فقدمه في مصلاه، فصفا جميعًا، ورسول الله ﷺ جالس، وأبو بكر يقرأ فركع معه الركعة الأخيرة، ثم جلس أبو بكر حتى قضى سجوده فتشهد وسلم، وأتى رسول الله ﷺ بالركعة الأخرى، ثم انصرف إلى جذع من جذوع المسجد فذكر القصة في عهده إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما فيما بعثه إليه، ثم في وفاته ﷺ يومئذ. أخبرنا به أبو عبد الله الحافظ بسنده إلى ابن لهيعة، حدثنا الأسود عن عروة، فذكره.

فالصلاة التي صلاها أبو بكر مأمومًا صلاة الظهر، وهي التي خرج فيها بين العباس وعلي رضي الله عنهما، والتي كان فيها إمامًا الصبح، وهي التي خرج فيها بين الفضل بن العباس وغلام له، فقد حصل بذلك الجمع، وعلى هذا فقول المصنف آخر صلاة صلاها يعني إمامًا. اهـ.

٢- قولهم هذا آخر الأمرين... دليل على النسخ، مردود عليه بأن النسخ لا يُصار إليه طالما أمكن الجمع بين الدليلين، وقد أمكن الجمع بينهما بما ذكره الإمام أحمد رحمه الله؛ حيث قال: «ليس في هذا حجة؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه كان ابتدأ الصلاة، فإذا ابتدأ الصلاة قائمًا صلوا قيامًا».

فأشار رحمه الله إلى أنه يمكن الجمع بين الحديثين بحمل الأول «حديث أنس» على من ابتدأ الصلاة جالسًا، والثاني «حديث عائشة» على ما إذا ابتدأ الصلاة قائمًا ثم اعتل فجلس.

قال ابن عثيمين رحمه الله: وعلى هذا نقول: لو حدث لإمام الحي علة في أثناء الصلاة أعجزته عن القيام فأكمل صلاته جالسًا؛ فإن المأمومين يتمونها قيامًا، وهذا لا شك أنه جمع حسن واضح، وعلى هذا فإذا صلى الإمام بالمأمومين قاعدًا من أول الصلاة فليصلوا قعودًا، وإن صلى بهم قائمًا ثم أصابته علة فجلس فإنهم يصلون قيامًا، وبهذا يحصل الجمع بين الدليلين». اهـ.

٣- قولهم لأنه ركن قدر عليه فلم يجز له تركه كسائر الأركان: مردود عليه بأن هذا في حالة صلاته منفردًا، أو خلف إمام قادر على القيام، أما صلاته خلف العاجز عن القيام فعليه القعود ليأتم بالإمام على حالته التي عليها؛ لقوله ﷺ: «إنما جُعل الإمام ليؤتم به» [متفق عليه]، وقوله: «ائتموا بأئمتكم».

الرد على الاعتراضات:

رد أصحاب الرأي الأول على اعتراضات الرأي الثاني بما يلي:

١- ورد في رواية عائشة رضي الله عنها: فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائمًا، وكان رسول الله ﷺ قاعدًا يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، فلو كان أبو بكر الإمام لكان عن يسار رسول الله ﷺ، وليس عن يمينه.

٢- قال الشافعي رحمه الله والأصحاب: إن صحت (أي الروايات التي وردت في إمامة أبي بكر للنبي ﷺ) فإنها كانت مرتين؛ مرة صلى النبي ﷺ وراء أبي بكر، ومرة صلى أبو بكر وراءه، ويحصل المقصود؛ وهو أن صلاة القادر وراء القاعد لا تجوز إلا قائمًا.

رد أصحاب الرأي الثاني على اعتراضات الرأي الأول:

بأن أبا بكر كان الإمام، ووقوف النبي ﷺ عن يساره يحتمل لأن وراءه صفًا، ومما يؤيد ذلك، أي إمامة أبي بكر، حديثُ عائشة وأنس السابق ذكرهما آنفًا.

الرأي الراجح:

هو الرأي الثاني القائل بصلاة المأمومين قعودًا خلف الإمام؛ وذلك لقوة أدلتهم وسلامتها عن المعارض، إلا أن أصحاب هذا الرأي اختلفوا في حكم هذا القعود على ثلاثة أقوال:

القول الأول: يرى أن القعود واجب. فإن صلوا وراءه قيامًا فصلاتهم غير صحيحة أي باطلة.

دليله:

١- عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا صلى الإمام قاعدًا فصلوا قعودًا، وإذا صلى قائمًا فصلوا قيامًا، ولا تقوموا والإمام جالس كما يفعل أهل فارس بعظمائها». [متفق عليه]، فالأمر يقتضي الوجوب، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه.

٢- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به..» فإن صلى الإمام جالسًا والذين خلفه قيامًا لم يقتدوا بالإمام، إنما اتباعهم له إذا صلى جالسًا صلوا جلوسًا.

٣- لأنه ترك اتباع إمامه مع قدرته عليه، أشبه تارك القيام في حال قيام إمامه.

القول الثاني: يرى أن القعود مستحب.

فإن صلوا وراءه قيامًا فصلاتهم صحيحة.

دليله:

١- لأن النبي ﷺ لما صلى وراءه قوم قيامًا لم يأمرهم بالإعادة، ومن ثَمَّ يحمل الأمر على الاستحباب لوجود تلك القرينة الصارفة عن الوجوب.

٢- لأنه يتكلف القيام في موضع يجوز له القعود أشبه المريض إذا تكلف القيام.

القول الثالث: يرى التفرقة بين الجاهل والعالم به:

فتصح صلاة الجاهل بوجوب القعود دون العالم بذلك.

دليله: القياس على الذي ركع دون الصف، فصحت صلاته لعدم العلم؛ حيث قال له ﷺ: «زادك الله حرصًا ولا تعد». [البخاري ٧٨٣].

الرأي الراجح: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وهذا القول هو الصحيح، أن الإمام إذا صلى قاعدًا وجب على المأمومين أن يصلوا قعودًا، فإن صلوا قيامًا فصلاتهم باطلة، ولهذا يُلْغَز بها، فيقال: رجل صلى الفرض قائمًا فبطلت صلاته، فمن هو؟ هو: الذي صلى قائمًا خلف إمام يصلي قاعدًا. اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله.

باب السنة

التوحيد حق الله على العبيد

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله الواحد الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله، إمام الموحدين، الداعي إلى الله تعالى على بصيرة هو ومن اتبعه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

عن ابْنِ عَبَّاس - رضي الله عنهما - قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ؛ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب (ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى) برقم (٧٣٧٢)، وأطرافه في (١٣٩٥، ١٤٥٨، ١٤٩٦، ٣٤٤٨، ٤٣٤٧، ٧٣٧١)، وأخرجه كذلك الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب (الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام)، برقم (١٩)، كما أخرجه الترمذي في جامعه في الزكاة برقم (٦٢)، وكذا النسائي في المجتبى في الزكاة برقم: (٢٤٣٧)، وابن ماجه في السنن في أبواب الزكاة برقم (١٧٨٣)، والدارمي في سننه في كتاب الزكاة برقم: (١٦١٤).

توحيد الله تبارك وتعالى أول الأمر وآخره

إن التوحيد هو أول دعوة الرسل، وهو أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تبارك وتعالى، وآخر ما يخرج به المسلم من الدنيا.

أما أنه أول دعوة الرسل؛ فقد بيَّن الله سبحانه ذلك في كتابه، فقال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال جل ثناؤه: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وبيَّن سبحانه في دعوة الرسل أجمعين أن أول دعوتهم التوحيد، فقال تباركت أسماؤه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال في عموم دعوة الرسل التي تبين أن أهم ما في دعوتهم هو الدعوة إلى التوحيد: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد بيَّن النبي ﷺ دعوته منذ اللحظة الأولى، وأنها تسير على منوال ما دعا إليه رسل الله السابقون عليه، فقال أول ما قال: «يا أيها الناس؛ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» [رواه الإمام أحمد في المسند ١٥٥٩٣، وصححه الألباني في صحيح السيرة ١/١٤٣]، وفي رواية له وللطبراني عن ربيعة بن عباد الديلي يقول: يقف رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، آمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا». [رواه الإمام أحمد في المسند ١٥٥٩٥].

وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».

> الشهادتان متلازمتان، لا تقبل إحداهما إلا مع الأخرى؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشرك به شيئًا، ولم يشهد أن محمدًا رسول الله: فهو كافر بالله وخالد مخلد في النار، وإن جاء بعبادة أهل الأرض كلهم، ومن شهد أن محمدًا رسول الله، وأشرك بالله شركًا كبيرًا، فهو كافر مخلد في النار، فلا بد إذن من اجتماع الشهادتين في العبد حتى يكون موحدًا

[متفق عليه من حديث عمر رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، البخاري ٢٥، ومسلم ٢٠].

وأما أنه أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى ربه عز وجل، فإنه إذا حقق التوحيد بالنطق بالشهادتين واعتقادهما فقد وضع قدمه على أول الطريق الموصل إلى الله تبارك وتعالى، وحينئذ ينطلق إلى فعل بقية أركان الإسلام؛ ففي حديث معاذ رضي الله عنه قال صلوات الله وسلامه عليه: «فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات...»، وفي رواية: «فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات...». إلخ.

فلا يسلك في الصلاة ثم الزكاة وما بعدهما إلا بعد أن يشهد شهادة الحق، شهادة التوحيد، وهما شهادتان في الحقيقة؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله £ ، كما جاء في حديث معاذ: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» [البخاري ١٣٩٥]. فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله، هو معرفة حق الله تعالى على عباده، واعتقاده والعمل بمقتضاه، وألا يكون هناك إخلال بشيء منه، وإلا استحقوا عذابه وعقابه.

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله؛ العلم اليقيني أن محمدًا رسول الله؛ كلَّفه سبحانه أن يبلِّغ عبادَه أوامرَ الله ونواهيه، وطاعته في كل أمر، واجتناب ما نهاهم عنه وزجَر، وألا يُعْبَدَ اللهُ سبحانه إلا بما جاء به، وأن من سلك طريقًا غير طريقه وسنته فمصيره إلى النار؛ لأن الله تعالى سدَّ كل طريق إليه وإلى جنته إلا طريقه صلوات الله وسلامه عليه، وأنه قد بلَّغ العباد ما أُرْسِلَ به، وبيَّن لهم دينهم أتم بيان، ولم يفارق الدنيا إلا بعد أن كملت الرسالة، وتم دين الله تبارك وتعالى، وأنه عَبْدُ اللهِ أكرمه ربه بالرسالة، وليس له من العبادة شيء يصرف له £ ، بل العبادة كلها لله رب العالمين.

وهاتان الشهادتان متلازمتان، لا تُقبل إحداهما إلا مع الأخرى؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشرك به شيئًا، ولم يشهد أن محمدًا رسول الله: فهو كافر بالله وخالد مخلد في النار، وإن جاء بعبادة أهل الأرض كلهم، ومن شهد أن محمدًا رسول الله، وأشرك بالله شركًا كبيرًا، فهو كافر مخلد في النار، فلا بد إذن من اجتماع الشهادتين في العبد حتى يكون موحدًا.

وأما مجرد النطق بالشهادتين، مع عبادة غير الله تعالى، وتعلق القلب بمن يعتقدهم أولياء، وطلب الحاجات منهم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده، ومع مخالفة أوامر رسول الله £ ، وارتكاب ما نهى عنه، فإن ذلك لا يفيده شيئًا، ولا يكون الإنسان به مسلمًا.

وأما كون التوحيد آخر ما يخرج به المسلم من الدنيا؛ فإنه قد ثبت من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي £ قال: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله». رواهما مسلم في صحيحه (٩١٦، ٩١٧)، ومن حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي £ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». [أخرجه أبو داود (٣١١٦)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، وصححه في غيره بشواهده].

حق الله على عباده

أورد الإمام البخاري حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث معاذ إلى اليمن مفتتحًا به كتاب التوحيد من صحيحه، تحت باب ما جاء في دعاء النبي £ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ثم أورد بعده حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ £ : «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ

عَلَيْهِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ». [متفق عليه: البخاري ٧٣٧٣، ومسلم ٣٠].

فحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أي يوحِّدوه في عبادتهم، فكما أنهم يعرفون ويقرون أنه الخالق وحده، وأنه الرازق وحده، وأنه بيده ملكوت كل شيء وحده، وأنه يدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض وحده، وأن السماء والأرض تقومان بأمره، وأنه المحيط بكل شيء، فكذلك يجب أن تُصرف العبادات كلها له وحده، فلا يُدعَى إلا الله، ولا يُرجَى غيره ولا يُخشى سواه، ولا يُستغاث إلا به، ولا يُستجار إلا به، ولا يُلجأ إلا إليه، ولا يُعلق القلب إلا به، ولا يُرجى النفع إلا منه سبحانه، فهو مالك الملك المتصرف في ملكه مدبِّر خلقه، فيجب إخلاص العبادة له سبحانه.

وهذا هو التوحيد الذي أُرسلت به الرسل، ومن أجله أرسلت، وأُنزلت به الكتب وبسببه أنزلت، فهو حق ربنا سبحانه وتعالى علينا، وهو أول واجب علينا وأعظم ما أمر الله به، وضده الشرك وهو أعظم ما نهى عنه رب العالمين سبحانه، وآيات القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين وخاتمهم خاصة بذلك.

السبيل إلى معرفة التوحيد

السبيل إلى معرفة التوحيد هو كتاب الله تبارك وتعالى، وسنة نبيه ﷺ، على ما وقر في فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، والاهتداء بوحي الله سبحانه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». [مسلم ٢٢].

ولقد أجاد الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في صنيعه في ترتيب صحيحه؛ لما ابتداه ببدء الوحي ونزوله الذي يحصل به الهداية والنور، ثم أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بالوحي والانقياد له، ثم أتبعه كتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، وفقهه، فهذا هو الترتيب الحق.

> **قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمة، أن أصل دين الإسلام وأول ما يُؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليًّا، والمباح الدم والمال معصومهما، ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد عُلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمة، أن أصل دين الإسلام وأول ما يُؤمَر به الخلقُ: شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليًّا، والمباح الدم والمال معصومهما، ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان.
[نقلاً من كتاب تيسير العزيز الحميد].

والإمام البخاري - رحمة الله عليه - في إيراده هذا الحديث (حديث بعث معاذ إلى اليمن) في بداية كتاب (التوحيد والرد على الجهمية) كما عَنْوَنَ الكتاب، يشير إلى الرد على المتكلمين الذين جعلوا العقل - وإن شئت فقل: أهواءهم - العمدة في إثبات ما يثبتون ونفي ما ينفون.

قال الشيخ الغنيمان في شرح كتاب التوحيد: فهذا الحديث دلَّ على أن أول ما يجب على العبد هو عبادة ربه تعالى؛ بامتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه، وأن المقصود من الدعوة: وصول العباد إلى ما خُلقوا له، من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

توحيد الله تعالى بين هداية الوحي وبين كلام المتكلمين

قال القرطبي في المفهم في شرح حديث: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» [البخاري

الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشُّبَه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطريق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله £ وسلف أمته

٢٤٥٧، ومسلم ٢٦٦٨]، وهو في أوائل كتاب العلم من صحيح مسلم]: هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشُّبَه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطريق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله £ وسلف أمته، إلى طرق مبتدعة، واصطلاحات مخترعة، وقوانين جدلية، وأمور صناعية، مدار أكثرها على آراء سوفسطائية، أو مناقضات لفظية، ينشأ بسببها على الآخذ فيها شُبَه ربما يعجز عنها، وشكوك يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدلهم لا أعلمهم، فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها، وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها.

ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعًا من المحال لا يرتضيها الْبُلْهُ ولا الأطفال، لما بحثوا عن تحيز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح، بل نَهَوْا عن الخوض فيه؛ لعلمهم أنه بحث عن كيفية ما لا تُعلم كيفيته بالعقل؛ لكون العقول لها حدّ تقف عنده.

ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان قد حُجِب عن كيفية نفسه، وعن كيفية إدراك ما يُدرك به؛ فهو عن إدراك غيره أعجز، وغاية علم العالم أن يقطع بوجود خالق لهذه المصنوعات، منزَّه عن الشبيه، مقدس عن النظير، متصف بصفات الكمال.

ثم متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه، وسكتنا عما سواه، كما هو طريق السلف، وما عداه لا يأمن صاحبه من الزلل، ويكفي في الرد عن الخوض في طريق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كعمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، والشافعي، فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضلالاً.

ثم قال: وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك، وببعضهم إلى الإلحاد، وببعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع، وتطلّبهم حقائق الأمور من غيرها، وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم، حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال: «ركبت البحر الأعظم، وغصت في كل شيء نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فرارًا من التقليد، والآن فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف». هذا كلامه أو معناه، وجاء عنه أنه قال عند موته: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغت ما تشاغلت به».

وقال الغزالي (كما في فتح الباري): أسرفت طائفة فكفَّروا عوام المسلمين، وزعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر، فضيَّقوا رحمة الله الواسعة، وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين.

وقال القرطبي: لو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقًا بالذم: إحداهما قول بعضهم: إن أول واجب الشك؛ إذ هو اللازم عن وجوب النظر أو القصد إلى النظر. ثانيتهما قول جماعة منهم: إن من لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها، والأبحاث التي حرروها، لم يصح إيمانه، حتى لقد أُورِد على بعضهم أن هذا يلزم منه تكفير أبيك وأسلافك وجيرانك؟ فقال: لا تُشنِّع عليَّ بكثرة أهل النار، قال: والقائل بالمسألتين كافر شرعًا، لجعله الشك في الله واجبًا، ومعظم المسلمين كفارًا حتى يدخل في عموم كلامه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة.

وللحديث بقية إن شاء الله.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢١٦٣- عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ قَتَلْتُمْ هَذَا الْقَتِيلَ مِنْ هُذَيْلٍ، وَإِنِّي عَاقِلُهُ، فَمَنْ قُتِلَ لَهُ بَعْدَ مَقَالَتِي هَذِهِ قَتِيلٌ فَأَهْلُهُ بَيْنَ خِيرَتَيْنِ: أَنْ يَأْخُذُوا الْعَقْلَ، أَوْ يَقْتُلُوا». حم (٢٦٦١٨)، د(٤٥٠٤) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٦٤- عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ رضي الله عنه قَالَ: «حَمَلَنِي أَهْلِي عَلَى الْجَفَاءِ بَعْدَمَا عَلِمْتُ مِنَ السُّنَّةِ. كَانَ أَهْلُ الْبَيْتِ يُضَحُّونَ بِالشَّاةِ وَالشَّاتَيْنِ وَالآنَ يُبَخِّلُنَا جِيرَانُنَا». جه (٣١٤٨) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٦٥- عَنْ أَبِي عَزَّةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً». أو قال: «بها حاجة». ت(٢١٤٧)، ش(٥٤٣)، حم(١٥١١١)، خد(٧٨٠)، ع(٩٢٧) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٦٦- عن مسلم بن عمرو الكناني رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الصَّوْمِ، فَقَالَ: «صُمْ يَوْمًا مِنَ الشَّهْرِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي زِدْنِي، قَالَ: «تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي زِدْنِي، يَوْمَيْنِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي زِدْنِي، إِنِّي أَجِدُنِي قَوِيًّا، فَقَالَ: «زِدْنِي زِدْنِي أَجِدُنِي قَوِيًّا»، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيَرُدُّنِي قَالَ: «صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ». ن(٢٤٣٥)، هب(٣٥٨٧) وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢١٦٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ؛ فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ». د(٤٤٨٤)، حم(٧٨٥١)، ن(٥٦٦٤)، حب(٤٤٤٧) وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢١٦٨- حَدَّثَنِي أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ: يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا». د(٤٧٢٨)، حب(٢٦٥) وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢١٦٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلاَةِ وَالذِّكْرِ، إِلاَّ تَبَشْبَشَ اللَّهُ لَهُ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ». جه (٨٠٠)، حم(٨١٥٠، ٩٥٣١) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٧٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدُوا إِلاَّ مَرَابِضَ الْغَنَمِ، وَأَعْطَانَ الإِبِلِ، فَصَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَلاَ تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الإِبِلِ». جه (٧٦٨)، ش(٣٧٠٥٣)، حم (٩٥١٦، ٩٩٩٢، ١٠٢٣٣)، ت(٣٤٨)، حب(١٣٨٤) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٧١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «أَكَلَ كَتِفَ شَاةٍ فَمَضْمَضَ، وَغَسَلَ يَدَيْهِ، وَصَلَّى». جه (٤٩٣)، حم(٢٧٤٨٦)، حب(١١٥١) وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢١٧٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «قُتِلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَدَفَعَهُ إِلَى وَلِيِّ الْمَقْتُولِ، فَقَالَ الْقَاتِلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ قَتْلَهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْوَلِيِّ: أَمَا إِنَّهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا ثُمَّ قَتَلْتَهُ دَخَلْتَ النَّارَ، قَالَ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ، قَالَ: وَكَانَ مَكْتُوفًا بِنِسْعَةٍ فَخَرَجَ يَجُرُّ نِسْعَتَهُ فَسُمِّيَ ذَا النِّسْعَةِ». د(٤٤٩٨)، ش(٢٨٤٥٥)، جه(٢٦٩٠)، ن(٤٧٢٢)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٧٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». حم (٨٤٩٤)، ت(١٣٠٦) وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢١٧٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلاَ بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلاَ بِالأَنْدَادِ، وَلاَ تَحْلِفُوا إِلاَّ بِاللَّهِ، وَلاَ تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلاَّ وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ». د(٣٢٤٨)، ع(٦٠٤٨) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٧٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ £ فَحَثَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ عِنْدِي كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَمَا بَقِيَ فِي الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلاَّ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَنِ اسْتَنَّ خَيْرًا فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ كَامِلاً، وَمِنْ أُجُورِ مَنِ اسْتَنَّ بِهِ، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنِ اسْتَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاسْتُنَّ بِهِ فَعَلَيْهِ وِزْرُهُ كَامِلاً، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِي اسْتَنَّ بِهِ، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا». جه (٢٠٤) وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢١٧٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ £ وَكَانَ رَجُلاً جَمِيلاً، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ حُبِّبَ إِلَيَّ الْجَمَالُ، وَأُعْطِيتُ مِنْهُ مَا تَرَى حَتَّى مَا أُحِبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ، إِمَّا قَالَ بِشِرَاكِ نَعْلِي، وَإِمَّا قَالَ بِشِسْعِ نَعْلِي، أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَلِكَ؟ قَالَ: لاَ ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ: مَنْ بَطِرَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ». د(٤٠٩٢)، هب(٥٧١١)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٧٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ £ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ». د(٤٠٩٨)، حم(٨١١٠)، حب(٥٧٥١)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢١٧٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «إِذَا لَبِسْتُمْ وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ فَابْدَءُوا بِأَيَامِنِكُمْ». د(٤١٤١)، حم(٨٤٨٣)، حب(١٠٩٠)، جه(٤٠٢) وهذا حديث صحيح على شرط البخاري.

٢١٧٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ £ ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَأْسِي ضُرِبَ فَرَأَيْتُهُ يَتَدَهْدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «يَعْمِدُ الشَّيْطَانُ إِلَى أَحَدِكُمْ، فَيَتَهَوَّلُ لَهُ، ثُمَّ يَغْدُو يُخْبِرُ النَّاسَ». جه(٣٩١١)، ش(٣٠٩٩٢)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٨٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ». د(٤٩١٤) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٨١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ £ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِائَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غُفِرَ لَهُ» جه(١٤٨٨)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٨٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ لَهُ مَنْزِلاَنِ، مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾». جه (٤٣٤١)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٨٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً». د(٤٨٥٥)، حم(٢٧٤٨٩)، حب(٤٤٠٠)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢١٨٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ £ « بِتَغْطِيَةِ الإِنَاءِ، وَإِيكَاءِ السِّقَاءِ، وَإِكْفَاءِ الإِنَاءِ». جه (٣٤١١)، حم (٨٥٨٢)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢١٨٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «كَمْ مَضَى مِنَ الشَّهْرِ»، قَالَ: قُلْنَا: مَضَتْ ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ، وَبَقِيَ ثَمَانٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ «لا، بَلْ مَضَتْ مِنْهُ ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ، وَبَقِيَ سَبْعٌ، اطْلُبُوهَا اللَّيْلَةَ. قَالَ يَعْلَى فِي حَدِيثِهِ: «الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ». حم (٧٤١٧)، ش(٩٦٨٩)، حب(٢٥٤٨)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

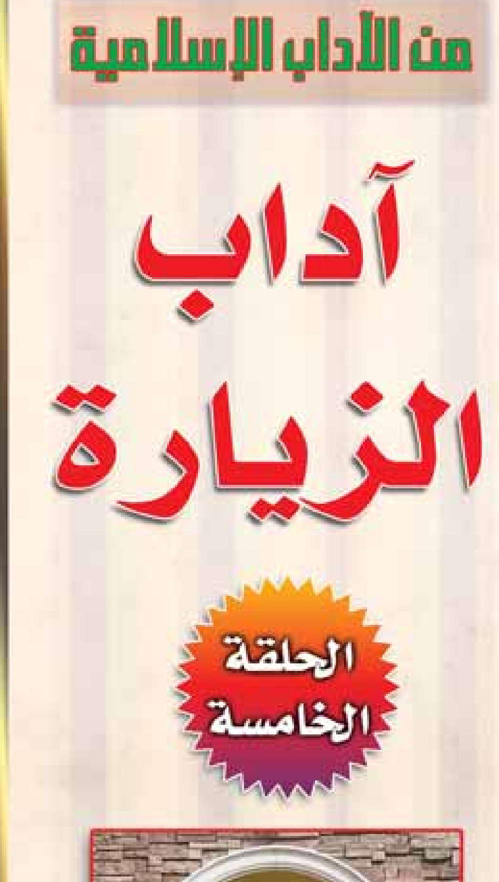
٢١٨٦- عَنْ بَشِيرِ بْنِ نَهِيكٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «لَوْ كُنْتُ قُدَّامَ النَّبِيِّ £ لَرَأَيْتُ إِبِطَيْهِ»، زَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: يَقُولُ لاحِقٌ: أَلاَ تَرَى أَنَّهُ فِي الصَّلاةِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ قُدَّامَ رَسُولِ اللَّهِ £ ؟ وَزَادَ مُوسَى بْنُ مَرْوَانَ الرَّقِّيُّ، يَعْنِي: إِذَا كَبَّرَ رَفَعَ يَدَيْهِ». د(٧٤٦)، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢١٨٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً جَاءَ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعِّرْ، فَقَالَ: بَلْ أَدْعُو، ثُمَّ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعِّرْ، فَقَالَ: بَلِ اللَّهُ يَخْفِضُ، وَيَرْفَعُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ لأَحَدٍ عِنْدِي مَظْلَمَةٌ». د(٣٤٥٠)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢١٨٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ». د(٣٤٦٠)، جه(٢١٩٩)، حب(٥٠٣٠)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١٨٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ». د(٣٨٥٢)، حم(٧٥١٥، ١٠٥٥٧)، ش(٢٦٦٢١)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

٢١٩٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «وَلَدُ الزِّنَا شَرُّ الثَّلاثَةِ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لأَنْ أُمَتِّعَ بِسَوْطٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ وَلَدَ زِنْيَةٍ». د(٣٩٦٣)، حم (٨٠٣٧)، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.





إعداد/ سعيد عامر
أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عما ينبغي أن يفعله المُضيِّف نحو ضيفه من الآداب، وفي هذا العدد نذكِّر بالآداب التي ينبغي للضيف أن يتحلى بها.

١- أكل الطعام:

ينبغي للضيف أن يبادر بالأكل، ولا يعتذر بشبع، بل يأكل ما أمكن، فمن الأدب إذا قُدِّم الطعام للضيف أن يبادر بالأكل؛ لأنه كرامة لصاحب المنزل، فالملائكة لما قبضوا أيديهم، نكرهم إبراهيم عليه السلام، وأوجس منهم خيفة في نفسه.

فالتقدم إلى الأكل فيه كرامة لصاحب البيت، ورفض الطعام فيه شيء من الإهانة.

قال ابن العربي: ألا ترى أن ترك الأكل عند الإباحة إساءةٌ، ودليل على العداوة.

٢- عدم عيب الطعام:

كان من هدي النبي ﷺ، كما ذكر ابن القيم - رحمه الله - في زاد المعاد: كان هديه ﷺ وسيرته في الطعام لا يرد موجودًا، ولا يتكلف مفقودًا، فما قُرِّب إليه شيءٌ من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه، فيتركه من غير تحريم، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلاَّ تَرَكَهُ» [البخاري ٣٥٦٣، ومسلم ٢٠٦٤]، كما ترك أكل الضب؛ لما لم يعتده، ولم يحرمه على الأمة، بل أُكل على مائدته وهو ينظر ﷺ.

فعَنْ خَالِد بْنِ الْوَلِيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِضَبٍّ مَشْوِيٍّ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ لِيَأْكُلَ؛ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ ضَبٌّ. فَأَمْسَكَ يَدَهُ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنَّهُ لاَ يَكُونُ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ، فَأَكَلَ خَالِدٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ. قَالَ مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: بِضَبٍّ مَحْنُوذٍ» [البخاري ٥٤٠٠، ومسلم ١٩٤٥].

والمعنى: أن الضب لا يعيش في مكة، ولا الحجاز، ويكون في نجد، فَقُدِّمَ الضب لرسول الله ﷺ، وكان قلما يمد يده لطعام حتى يُحدَّث

به ويسمَّى له، فأهوى رسول الله £ بيده إلى الضب.. فأخبر رسول الله £ أن هذا ضبّ، فرفع رسول الله £ يده عن الضب، فقال خالد بن الوليد: أحرام الضب يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه.

قال خالد: فاجتررته وأكلته ورسول الله £ ينظر إليَّ.

فمن أراد بالسؤال أن يعرف هل هذا النوع مما هو يشتهيه أو مما يكرهه؛ فلا بأس أن يعرف ما يقدَّم له، يسأل عن نوع الطعام؛ لأن بعض الأطعمة من طريقة الطهي لا تُعرف وتتغير ملامحها، فالضب قد شُوي بطريقة غيَّرت معالمه، ولذلك ما تميز له إلا بعد أن قالوا له: هو ضب.

ولذلك فلا عيب في أن يسأل الضيف: ما هذا الطعام؟ فعندما يُوضع بين يديك طعامٌ لا تدري ما هو، قد يكون فيه شيء أنت لا تريده، ولا تحبه، ففي هذه الحالة لا بأس أن تسأل للاطمئنان.

٣- عدم التكلف الشديد للضيف:

فينبغي لصاحب البيت ألا يتكلف فوق طاقته، أو يحملها الكثير؛ لأجل إكرام الضيف، بل يقدِّم له في حدود الموجود عنده، مع إكرامه.

فلا ينبغي أن يقلب الإنسان بيته رأسًا على عقب لاستقبال الضيف، ويتجشم الكثير من النفقة، فإن هذا ليس من هدي النبي £ وأصحابه، كما أن فيه مشقة على النفس، وتحميلاً لها ما لا تطيق، وقد يؤدي اعتياد هذا إلى كراهية استقبال الضيف أصلاً.

ولذا نهى النبي £ عن التكلف للضيف، فعن شقيق بن مسلم، قال: دخلنا على سلمان الفارسي، فدعا بما كان في البيت، وقال: «لولا أن رسول الله £ نهانا عن التكلف للضيف لتكلفت لكم» [الطبراني في الأوسط ٦ / ١٠٤، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٥١١): صحيح لما له من الشواهد].

فالمطلوب من المضيف تقديم أفضل شيء عنده بحسب استطاعته، وقد ترجم البخاري بابًا بعنوان: «صنع الطعام والتكلف للضيف»، وذكر فيه حديث أبي الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ £ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ؛ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ. فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الآنَ. فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ؛ فَأَتَى النَّبِيَّ £ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ £ : «صَدَقَ سَلْمَانُ».[البخاري ١٩٦٨].

والإسراف مذموم، ولا شك أن الأكل ينبغي أن يُصان عما يهينه، فقد درج بعض الناس أن يكلفوا أنفسهم ويعدوا طعامًا زائدًا كثيرًا، ويُؤكل منه اليسير، ويرمى الباقي، فبعض الناس إذا طبخوا طعامًا اليوم لا يأكلون منه غدًا، بل يرمونه، ولا شك أن هذا من الإسراف، ومن الاستهانة بالنعمة، وهناك من الناس من يبحث عن لقمة صغيرة، وهؤلاء لا يطيقون الطعام الذي يبيت في الثلاجة ولو كان محفوظًا، فترى عندهم استحالة أن يأكل الواحد من الطعام ثاني يوم، ولا شك أن هذا من الإسراف، ويُخشى على من فعل ذلك أن تزول منه النعمة.

٤- لزوم الضيف آداب الأكل والشرب:

هناك آداب - سوف نذكرها في الحلقة جميعها الضيفُ عند جلوسه للأكل مع المضيف، ولا يقصر في الالتزام بها، فإن ذلك من إحسان المرء إلى نفسه، وإلى أخيه، وفي لزومها الخير الكثير، والبركة على الطرفين.

ينبغي لصاحب البيت ألا يتكلف فوق طاقته، أو يحملها الكثير؛ لأجل إكرام الضيف، بل يقدم له في حدود الموجود عنده، مع إكرامه

٥- أن يبدأ صاحبُ الطعام بالأكل قبل الضيف:

من الآداب أن يسبق صاحبُ الطعام الضيفَ في الأكل، وينبغي للضيف المبادرة إلى الأكل إذا دُعي، فإن السُّنة إذا قُدِّم الطعام أن يبادر بالأكل، والعرف يقتضي أن تقديم الطعام للضيف هو إذنٌ له بالأكل، ولا يحتاج إلى قبوله بقوله.

٦- الدعاء للمُضيف:

ينبغي للضيف أن يشكر صاحب الضيافة على حُسن استضافته، فإن هذا مما يدعو إليه الإسلام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه £ : «مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللَّهَ» [أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٤١٦، وفي صحيح الأدب المفرد (١ / ٩٩)].

وكان من هدي النبي £ أن يدعو لصاحب المكان، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ £ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ £ : «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلائِكَةُ». [أبو داود (٣٨٥٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٦٣) وفي صحيح الجامع (١١٣٧)].

ودعا لعبد الله بن بسر بعدما أطعمه؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ £ عَلَى أَبِي، قَالَ: فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً -إناء-، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ وَيَجْمَعُ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى، ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِه، قَالَ فَقَالَ أَبِي وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِه: ادْعُ اللَّهَ لَنَا. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ». [مسلم ٢٠٤٢].

قال الإمام النووي: فيه استحباب طلب الدعاء من الفاضل، ودعاء الضيف بتوسعة الرزق والمغفرة، والرحمة، وقد جمع £ في هذا الدعاء خيرات الدنيا والآخرة.

٧- ألا يسأل صاحب المنزل عن شيء من داره سوى القِبْلَة، وموضع قضاء الحاجة:

وألا يتطلع إلى ناحية الحريم، وألا يخالفه إذا أجلسه في مكان وأكرمه به.

وينبغي للضيف إذا نزل أن يحذر من إتلاف شيء من أثاث ومتاع صاحب البيت، فإن بعض الضيوف إذا جاءوا إلى البيت كسروا وأطلقوا لأولادهم العنان فتراهم يكسرون في أثاث صاحب البيت... إلخ.

٨- إذا جاء الضيف بتابعٍ فعليه أن يستأذن له:

فلو أنه دُعي إلى الطعام فجاء معه مَن لم يُدْعَ فماذا يفعل؟

بوَّب الإمام مسلم في صحيحه باب «ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام واستحباب إذن صاحب الطعام للتابع»، وساق بسنده عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ يُكْنَى أَبَا شُعَيْبٍ، فَقَالَ لِغُلامٍ لَهُ قَصَّابٍ اجْعَلْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً؛ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَّ £ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ، فَدَعَاهُمْ فَجَاءَ مَعَهُمْ رَجُلٌ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ £ : «إِنَّ هَذَا قَدْ تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ فَأْذَنْ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْجِعَ رَجَعَ، فَقَالَ: لا، بَلْ قَدْ أَذِنْتُ لَهُ». [البخاري ٢٠٨١، ومسلم ٢٠٣٦].

وفيه أن المدعو إذا تبعه رجل بغير استدعاء، ينبغي أن يُعلِم صاحب الدار حتى يأذن له أو يمنعه، وعلى صاحب الطعام أن يأذن له، إن لم يترتب على حضوره مفسدة، بأن يؤذي الحاضرين، أو يشيع عنهم ما يكرهونه، أو يكون جلوسه معهم مزريًا بهم، لشهرته بالفسق ونحو ذلك، فإن خيف من حضوره شيء من هذا لم يأذن له، وينبغي أن يتلطف في رده.

ونستكمل مع آداب الطعام في العدد القادم إن شاء الله، وصلى الله على رسولنا محمد وآله وصحبه.

«« وينبغي للضيف إذا نزل أن يحذر من إتلاف شيء من أثاث ومتاع صاحب البيت، فإن بعض الضيوف إذا جاءوا إلى البيت كسروا وأطلقوا لأولادهم العنان فتراهم يكسرون في أثاث صاحب البيت »»

حديث الشهر

الحلقة الثانية

التقوى
زادك إلى الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على خاتم النبيين، أما بعد، فما يزال حديثنا موصولاً عن الجنة، والطريق الموصلة إليها، والذي لا شك فيه أن أكثر ما يُدخل الناس الجنة بعد الإيمان هو تقوى الله عز وجل، وإن للتقوى آثارًا في العاجل والآجل:

أولاً: الفوائد المترتبة على التقوى في الدنيا

١- التقوى سببٌ لتيسير أمور الإنسان: قال تعالى: "وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا" [الطلاق: ٤]، وقال تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى" [الليل: ٥-٧].

٢- التقوى سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان: قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ" [الأعراف: ٢٠١].

٣- التقوى سبب لنيل البركات من السماء والأرض: قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" [الأعراف: ٩٦].

٤- التقوى سببٌ في توفيق العبد للفصل بين الحق والباطل، ومعرفة كل منهما: قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" [الأنفال: ٢٩]، وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [الحديد:٢٨].

٥- التقوى سبب للخروج من الشدائد، وحصول الرزق، والسعة للمتقي من حيث لا يحتسب: قال تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" [الطلاق:٢،٣].

٦- التقوى سبب لنيل ولاية الله: فأولياء الله هم المتقون، كما قال تعالى: "إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ" [الأنفال:٣٤]، وقال تعالى: "وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ" [الجاثية:١٩].

٧- التقوى سبب لعدم الخوف من ضرر الكافرين وكيدهم: قال تعالى: "وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا" [آل عمران:١٢٠].

٨- التقوى سبب لنزول المدد من السماء عند لقاء الأعداء: قال تعالى: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ

هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِـخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ˝ [آل عمران:١٢٣-١٢٥].

٩- التقوى سبب لتحقيق الأمان: قال تعالى في قصة مريم: ˚ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ˝ [مريم:١٧، ١٨].

١٠- التقوى سببٌ لتعظيم شعائر الله: قال تعالى: ˚ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ˝ [الحج:٣٢].

١١- التقوى سببٌ لصلاح الأعمال وقبولها، ومغفرة الذنوب: قال تعالى: ˚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ˝ [الأحزاب:٧٠،٧١].

١٢- التقوى علامةٌ على تعظيم النبي £ ، وسبب لغض الصوت عند رسول الله: وسواء كان ذلك في حياته، أو بعد وفاته أو عند قبره، قال تعالى: ˚ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ˝ [الحجرات:٣].

١٣- التقوى سببٌ لنيل محبة الله عز وجل: وهذه المحبة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة، كما جاء في الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».[البخاري ٦٥٠٢].

وقال تعالى: ˚ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ˝ [آل عمران:٧٦].

١٤- التقوى سبب لنيل العلم وتحصيله: قال تعالى: ˚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ˝ [البقرة:٢٨٢].

١٥- التقوى سبب لسلوك الصراط المستقيم: قال تعالى: ˚ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ˝ [الأنعام:١٥٣].

١٦- التقوى سبب لنيل رحمة الله: وهذه الرحمة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة، قال تعالى: ˚ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ˝ [الأعراف:١٥٦].

١٧- التقوى سببٌ لنيل معية الله الخاصة: قال تعالى: ˚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ˝ [النحل:١٢٨]. وقال سبحانه: ˚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ˝ [البقرة:١٩٤].

التقوى سببٌ لصلاح الأعمال وقبولها، ومغفرة الذنوب

١٨- التقوى سبب لحسن العاقبة والمآب، قال تعالى: ˚ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ˝ [طه:١٣٢]، وقال تبارك وتعالى: ˚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ˝ [ص:٤٩]، وقال تعالى: ˚ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ˝ [هود:٤٩].

١٩- التقوى سببٌ لحصول البشرى في الحياة الدنيا: سواء بالرؤيا الصالحة، أو بمحبة الناس له، والثناء عليه، قال تعالى: ˚ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ˝ [يونس:٦٣،٦٤].

٢٠- التقوى سبب لعفة النساء: قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب:٣٢].

٢١- التقوى سببٌ لعدم الجور في الوصية: قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١٨٠].

٢٢- التقوى سببٌ في إعطاء المطلقة متعتها الواجبة لها: قال تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢٤١].

٢٣- التقوى سببٌ في عدم ضياع الأجر في الدنيا والآخرة، قال تعالى بعد أن منَّ على يوسف عليه السلام بجمع شمله مع إخوته: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٩٠].

٢٤- التقوى سببٌ لحصول الهداية. قال تعالى: ﴿ الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢،١].

ثانياً: الفوائد المترتبة على التقوى في الآخرة

١- التقوى سببٌ للإكرام عند الله عز وجل: قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١١].

٢- التقوى سببٌ للفوز والفلاح: قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور:٥٢].

٣- التقوى سببٌ للنجاة يوم القيامة من عذاب الله: قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧٢،٧١]. وقال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾ [الليل:١٧].

٤- التقوى سببٌ لقبول الأعمال، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧].

٥- التقوى سببٌ قويّ للفوز بميراث الجنة: قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم:٦٣].

٦- للمتقين في الجنة غُرفٌ مبنيةٌ من فوقها غُرف: قال تعالى: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ [الزمر:٢٠].

٧- المتقون فوق الذين كفروا يوم القيامة في محشرهم، ومنشرهم، ومسيرهم، ومأواهم، مستقرين في أعلى عليين، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة:٢١٢].

٨- التقوى سببٌ في دخولهم الجنة: وذلك لأن الجنة أُعدت لهم، قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

المتقون فوق الذين كفروا يوم القيامة في محشرهم، ومنشرهم، ومسيرهم، ومأواهم، مستقرين في أعلى عليين

٩- التقوى سببٌ لتكفير السيئات، والعفو عن الزلات: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [الطلاق:٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ [المائدة:٦٥].

١٠ – التقوى سبب لنيل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين: قال تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل:٣١].

١١- التقوى سبب لعدم الخوف والحزن

وعدم مساس أهلها بالسوء يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر:٦١]، وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢،٦٣].

١٢- المتقون يحشرون يوم القيامة وفدًا إليه سبحانه وتعالى، والوفد: هم القادمون ركبانًا، وهم خير الوفود، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

١٣- الجنة تُقرَّب للمتقين، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء:٩٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٢١].

١٤- إن تقواهم سبب في عدم مساواتهم بالفجار والكفار: قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨].

١٥- كل صحبة وصداقة لغير الله؛ فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة إلا صحبة المتقين، قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧].

١٦- للمتقين مقام أمين وجنات وعيون: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١-٥٢].

١٧- للمتقين مقعد صدق عند مليك مقتدر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤،٥٥].

١٨- التقوى: سبب في ورود الأنهار المختلفة، فهذا نهر من ماء غير آسن، وذلك نهر من لبن لم يتغير طعمه، وذلك من عسل مصفى، وآخر من خمر لذة للشاربين، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد:١٥].

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» [البخاري ٢٧٩٠].

١٩- التقوى سبب السير تحت أشجار الجنة، والتنعم بظلالها: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ. وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات:٤١-٤٣].

٢٠- للمتقين البشرى في الآخرة.. فلا يحزنهم الفزع لأكبر، وتتلقاهم الملائكة، قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

قال ابن كثير: «وأما بشراهم في الآخرة فكما قال تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٣].

٢١- المتقون لهم نعم الدار، قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠].

رزقنا الله وإياكم حسن التقوى، ووفقنا لما يحب ويرضى.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المتقون يحشرون يوم القيامة وفدًا إليه سبحانه وتعالى، والوفد: هم القادمون ركبانًا، وهم خير الوفود

زلة هيئة المعايير



إعداد: د/ علي أحمد السالوس

أستاذ الفقه والأصول، وأستاذ فخري في المعاملات المالية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، بجامعة قطر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونسأله عز وجل أن يجنبنا الزلل في القول والعمل، ونصلي ونسلم على خير البشر الذي تركنا على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها؛ لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد:

فمن المعلوم أن الأمم التي ينتشر فيها الربا والزنى تُصاب بالأمراض التي لم تُصَب بها الأمم السابقة، وفي عصرنا انتشرت أمراض لا عهد للسابقين بها؛ كالإيدز، وأنفلونزا الطيور، ثم الخنازير، ثم الماعز، فهل انتشر الربا والزنى في عصرنا؟ أظن ذلك.

فعندنا أقوام لا يرون أي حرج في فاحشة الزنى، بل يرونه كحق الإنسان في التبول، وهذا أمر معلوم غير مجهول في الدول غير الإسلامية. وبعض الدول الإسلامية لا تمنع الزنى ولا تجرِّمه، وبعضها أباح الدعارة.

وأما الربا الذي هو من أكبر الكبائر، ومن السبع الموبقات، فلعلنا في العصر الذي قال عنه الرسول ﷺ: «يأتي على الناس زمان يأكلون الربا، ومن لم يأكله أصابه من غباره، وفي رواية: من بخاره». [أبو داود ٣٣٣١، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٤٨٦٤].

وانتشار الربا في عصرنا واضح جلي؛ حيث تنتشر البنوك الربوية، والشركات التي تتعامل بالربا.

وتحريم فوائد البنوك أصبح أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، ويعلو فوق كل خلاف كما بيَّن فضيلة الإمام الشيخ جاد الحق - يرحمه الله - شيخ الأزهر السابق، بل أثبت في أكثر من كتاب من كتبه أن هذه الفوائد أسوأ من ربا الجاهلية. وهذا الموضوع أجمعت عليه كل المجامع الفقهية الدولية بلا استثناء، فلا يحتاج أن نقف عنده من جديد، والذي أريد أن أقف عنده هو أسهم الشركات التي نشاطها حلال وتتعامل بالربا.

ولكن لماذا هذا الوقوف عند هذا الموضوع؟

السبب هو ما صدر عن هيئة المعايير

المحاسبية بما قد يخدع بعض المسلمين المتمسكين بالحق، وكذلك ما أفتت به بعض هيئات الرقابة الشرعية للمصارف الإسلامية، وظهر أثره في التطبيق العملي.

وهدفي هنا ليس مناقشة هيئة المعايير ولا هيئات الرقابة، وإنما تأكيد بطلان ما صدر عن هذه الهيئات حتى لا نُخدَع بهذه الأصوات، ولنثبت المتمسكين بالحق، والله عز وجل من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المجامع الفقهية الدولية

هذه المجامع تضم صفوة علماء الأمة من أهل الاختصاص، إلى جانب خبراء في التخصصات المختلفة، وطريقة عملها معروفة للسادة العلماء الذين يُدْعَوْن لحضور مؤتمراتها.

فكل مجمع يحدد الموضوعات التي سيبحثها في المؤتمر القادم، ثم يستكتب الأعضاء والخبراء في هذه الموضوعات، ويحدد المؤتمر وجدول الأعمال، ثم تعرض هذه الأبحاث وتناقش مناقشة مستفيضة، ثم تصدر القرارات أو تؤجل لمؤتمر آخر لمزيد من البحث والدراسة.

وهذه المجامع هي

أولاً مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي:

وهو يمثل جميع الدول الإسلامية، ويضم أيضًا أعضاء معينين لا يمثلون دولاً، وإنما لمكانتهم العلمية، فهم من كبار العلماء والفقهاء في العالم. وإلى جانب الأعضاء خبراء من أنحاء العالم، ولذلك يحضر المؤتمرات عادة ما يزيد على المائة.

ثانيًا: المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي:

وهو يضم ثلاثين عضواً من كبار العلماء من أنحاء العالم، ويضم أيضًا عددًا كبيرًا من الخبراء.

هذان المجمعان الدوليان هما المرجع الأعلى للأمة الإسلامية فيما يصدر عنهما من قرارات.

والمجمع الثالث، وهو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، هو أقدم المجامع، وكان دوليًا؛ يتكون من ثلاثين عضواً من مصر وعشرين من خارج مصر، وكان يسير بالطريقة التي تتبعها المجامع الدولية في المؤتمرات السنوية، والقرارات التي أصدرها آنذاك كان لها أثر كبير.

أما الآن فقد أصبح كل أعضائه من مصر فقط، والمتخصصون في الفقه عدد قليل جدًا، ولم يعد هناك أبحاث ومؤتمرات، وإنما يدعى للاجتماع إذا أريد إصدار قرار معين كما حدث في منع النقاب، ومشروعية الجدار العازل لغزة، وتحليل فوائد البنوك، إلى غير ذلك من القرارات.

هيئات الرقابة الشرعية

لكل مصرف إسلامي هيئة رقابة شرعية، تتكون عادة من ثلاثة، وقد يكتفى بمستشار شرعي واحد، وقد يزيد العدد ليصل إلى خمسة، ومجلس الإدارة هو الذي يعين هذه الهيئة، ويحدد مكافآتها!!

وبعض أعضاء هذه الهيئات ضرب مثلاً أعلى في الرقابة، والتزم بقرارات المجامع الفقهية الدولية.

وهذه الهيئات لا تصلح أن تكون بديلاً لهذه المجامع، ومن خرج منها على هذه المجامع، واستقل بالفتوى أتى بالعجب العجاب، وبالفتاوى الشاذة.

ومن ذلك القول بأن النقود الورقية لا يجري فيها الربا؛ فيجوز مثلاً أن يأخذ ألف جنيه، ويرد القرض ألفًا ومائتين؟! وكذا من يجوِّز التعامل في السندات ذات الفوائد الربوية؟!

وأجاز بعضهم أسوأ أنواع ربا الجاهلية، وهو تطبيق قاعدة «إما أن تعطيني، وإما أن تُرْبِي»، وأصبح هناك من يقول بأن بعض هيئات الرقابة أجازت هذا النوع من الربا، وهذا يعني أن القائل وهذه الهيئات التي احتج بها يحللون ما حرم الله عز وجل من ربا الجاهلية، بل أسوأ أنواع ربا الجاهلية؟!

المجامع الفقهية تضم صفوة علماء الأمة من أهل الاختصاص إلى جانب خبراء في التخصصات المختلفة

والأمثلة كثيرة لا أريد أن أُكثر منها، بل أكتفي بهذا لإثبات أن هذه الهيئات لا تصلح أن تكون بديلاً للمجامع الفقهية الدولية.

هيئة المحاسبة

هيئة المحاسبة والمراجعة هي التي تُصدر المعايير الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية، وتم تأسيسها سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

وكان الهيكل التنظيمي للهيئة يتكون من: لجنة الإشراف، وتتكون عضويتها من سبعة عشر عضواً، ومجلس معايير المحاسبة المالية، وتتكون عضويتها من واحد وعشرين عضواً، ولجنة شرعية من أربعة فقط.

وواضح من هذا الهيكل أن الهدف من إنشاء الهيئة هو وضع المعايير وليس الإفتاء، وهذا يستلزم وجود مرجعية للإفتاء لأخذ القرارات الفقهية التي تستمد منها المعايير، ولا مرجعية سوى المجامع الفقهية الدولية.

ثم أدخلت تعديلات على النظام الأساسي للهيئة، وشملت التعديلات إنشاء مجلس شرعي بدلاً من اللجنة الشرعية، ويتكون المجلس من أعضاء لا يزيد عددهم عن عشرين عضواً من هيئات الرقابة الشرعية، وجعل من مهام المجلس الاجتهاد الجماعي دون إشارة إلى الالتزام بقرارات المجامع الفقهية الدولية، ومن هنا بدأ الزلل والخطأ والخلل.

وأضرب مثالاً بالتعامل في أسهم الشركات التي نشاطها حلال، غير أنها تتعامل بالربا، لنقارن بين القرار المجمعي وأدلته، وما صدر عن الهيئة وأدلته، ومن صدر عنهم كل من القرارين.

أولاً: النظر في القرار المجمعي

في الدورة الرابعة عشرة للمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي قرر المجمع ما يأتي:

لا يجوز لمسلم شراء أسهم الشركات والمصارف إذا كان في بعض معاملاتها ربًا، وكان المشتري عالمًا بذلك.

ثم أضاف:

والتحريم في ذلك واضح؛ لعموم الأدلة من الكتاب والسنة في تحريم الربا؛ ولأن شراء أسهم الشركات التي تتعامل بالربا مع علم المشتري بذلك يعني اشتراك المشتري نفسه في التعامل بالربا؛ لأن السهم يمثل جزءًا شائعًا من رأس مال الشركة، والمساهم يملك حصة شائعة في موجودات الشركة، فكل مال تقرضه الشركة بفائدة، أو تقترضه بفائدة، فللمساهم نصيب منه؛ لأن الذين يباشرون الإقراض والاقتراض بالفائدة يقومون بهذا العمل نيابة عنه، والتوكيل بعمل المحرم لا يجوز. ا.هـ.

هذا هو القرار بأدلته قطعية الثبوت واضحة الدلالة، وهذا المجمع يبلغ عدد أعضائه ثلاثين من صفوة علماء الأمة، إلى جانب الخبراء الذين قد يصل عددهم إلى مثل عدد الأعضاء.

ولا يوجد أي تعارض بين جميع قرارات المجمع هذه ومجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي الذي يزيد عدد أعضائه على السبعين، ويشارك فيه من الخبراء عشرات العلماء.

ثانياً: النظر في قرار الهيئة

في المعيار الشرعي رقم (٢١) عن الأوراق المالية جاء ما يأتي عن المساهمة أو التعامل في أسهم شركات أصل نشاطها حلال، ولكنها تودع أو تقترض بفائدة:

الأصل حرمة المساهمة والتعامل (الاستثمار أو المتاجرة) في أسهم شركات تتعامل أحيانًا بالربا، أو نحوه من المحرمات، مع كون أصل نشاطها مباحًا، ويستثنى من هذا الحكم المساهمة أو التعامل بالشروط الآتية:

ألا يبلغ إجمالي المبلغ المقترض بالربا ٣٠ ٪ من القيمة السوقية لمجموع أسهم الشركة، علماً بأن الاقتراض بالربا حرام مهما كان مبلغه.

ألا يبلغ إجمالي المبلغ المودع ٣٠ ٪ من القيمة السوقية لمجموع أسهم الشركة، علماً بأن الإيداع بالربا حرام مهما كان مبلغه.

هذا بعض ما جاء في هذا المعيار، وهو يتفق مع قرار المجمع في التحريم، غير أنه استثنى ما يحل هذا الحرام، فبمَ استدل على تحليل هذا الحرام البيِّن؟

> لا يجوز لمسلم شراء أسهم الشركات والمصارف إذا كان في بعض معاملاتها ربًا، وكان المشتري عالمًا بذلك

قال المحلِّون:
مستندَ استثناء التعامل بأسهم شركات أصل نشاطها حلال، ولكن تودع أو تقترض بالفائدة هو تطبيق قاعدة رفع الحرج، والحاجة العامة، وعموم البلوى، ومراعاة قواعد الكثرة والقلة والغلبة، وجواز التعامل مع من كان غالب أمواله حلالاً، والاعتماد على مسألة تفريق الصفقة عند بعض الفقهاء، وعلى ذلك فتاوى معظم هيئات الفتاوى والرقابة الشرعية للبنوك الإسلامية.
هذا هو مستند تحليل هذا الحرام البين؟!
وهو مستند واهٍ لا يقوم على دليل من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس محكم؟!
وكيف يقرون بأن الاقتراض أو الإيداع بالربا حرام مهما كان مبلغه، ثم يُحلِّون هذا الحرام إذا كان لا يبلغ ثلاثين في المائة؟!
وهل مجالات الاستثمار الحلال ضاقت حتى تعين على المسلم الاستثمار في هذه الأسهم؟
وأين الحرج، والحاجة العامة، وعموم البلوى إذا ابتعد المسلم عن هذه الأسهم؟! وهل مراعاة قواعد الكثرة والقلة والغلبة تكون في الغرر وما هو في معناه أم تكون في المحرم لذاته كالربا والزنى؟ أم فيما هو من أكبر الكبائر ومن السبع الموبقات؟!
والذي عاشر زوجته سنوات عديدة، ثم زنى مرة واحدة لماذا يرجم حتى الموت، ولم تراع الكثرة والقلة والغلبة؟
وهل التعامل في الحلال دون الحرام مع من كان غالب أمواله حلالاً حكمه حكم من يقع هو نفسه في الحرام وغالب كسبه حلال؟!
وشراء شيء من الطيبات الحلال من شخص غالب أمواله حرام فضلاً عن أن يكون غالبه حلالاً كمن يكتسب هو نفسه من الحرام والحلال والغالب هو الحلال؟!
وكيف تفيد مسألة تفريق الصفقة هنا، ونحن نتحدث عن كبيرة من أكبر الكبائر؟ وما يقوله بعض الفقهاء أيصبح دليلاً نستحل به الوقوع في الحرام؟!
ما هذا الاستدلال أيها السادة الذي يبطل الأدلة الثابتة الواضحة الجلية من الكتاب والسنة والإجماع؟!
وقولهم: «وعلى ذلك فتاوى معظم هيئات الفتاوى والرقابة الشرعية للبنوك الإسلامية»، يؤكد ما قلته من قبل من أن هذه الهيئات لا تصلح أن تكون بديلاً للمجامع الفقهية الدولية.
بقي أن ننظر من الذي أصدر هذه الفتوى واضحة البطلان لتكون معياراً تطبقه المصارف الإسلامية:
أصدر هذه الفتوى أربعة عشر عضواً من أعضاء هيئات الرقابة الشرعية للبنوك الإسلامية، والقرار صدر بالأغلبية، ولا أدري من الذي وافق ومن الذي عارض.
ومن هذا العدد القليل نجد من هم من أهل الاختصاص، غير أنهم قلة قليلة يُمكن أن يصدر القرار دون موافقتهم، ومنهم من ليس من أهل الاختصاص، ومنهم من أحل أسوأ أنواع ربا الجاهلية، كما أشرت من قبل، ومنهم من اشتهر بأنه لا يكاد يحرم حراماً، ومنهم...إلخ.
وهذا يؤكد ما قلته من قبل من أن هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا بديلاً للمجامع الفقهية الدولية.

بقي أن أقول :

إن هذه الهيئة في المعيار رقم (٣٠) أجازت التورق المصرفي في السلع والمعادن، وهذا يتعارض مع ما أصدره المجمعان الدوليان.
أفلا تصحح الهيئة مسارها، وتعيد النظر في هذين المعيارين، ولا تجعل المجلس الشرعي نداً للمجامع الفقهية الدولية؛ فهو ليس أهلاً لذلك، وتصدر المعايير بما لا يتعارض مع القرارات المجمعية الدولية؟
نرجو ذلك، والله الموفق، وهو سبحانه وتعالى الهادي إلى سواء السبيل...
"سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" . [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].
والحمد لله رب العالمين.

الأصل حرمة المساهمة والتعامل (الاستثمار أو المتاجرة) في أسهم شركات تتعامل أحيانًا بالربا، أو نحوه من المحرمات، مع كون أصل نشاطها مباحًا



أعدها/ فتحي أمين عثمان

إنه لمما يأسف له الإنسان، أنك ترى كثيرًا من الناس لا يدركون أن الله تبارك وتعالى هو الذي فرض على المسلمين حبّ رسوله £ وتوقيره وتعزيره، وأن أحدهم لا يكمل إيمانه حتى يكون الرسول أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين.

وقد قال الرسول الكريم: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

كما أن الرسول £، حذَّر أمته من الغلو في شأنه، ونهاهم عن الابتداع في رسالته ونصحهم، فقال: «إنما أنا عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني عن المنزلة التي أنزلني الله إياها». [أحمد ١٣٥٩٦، وصححه الألباني].

ولكن مما يورث الحسرة أنك ترى كثيرًا من المتصوفة، تحت ستار الحب للرسول £ قد قالوا الأباطيل، وفعلوا الأعاجيب.

ومما تأفكه الصوفية أن جبريل عجب حين رأى محمدًا £ يتلو القرآن قبل أن يعلِّمه إيّاه.

فسأل جبريل، فأجابه النبي: ارفع الستر مَرَّة حين يلقى إليك الوحي، ففعل جبريل، فرأى محمدًا هو الذي يوحي إليه، فصاح مسبحًا، منك وإليك يا محمد ؟!

ويتناقل هذه الأسطورة صوفي عن صوفي، وقد فحَّ ابن عربي بهذه الفرية؛ إذ يقول في تفسيره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤].

«اعلم أن رسول الله £ أُعطي القرآن مُجملاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور، فقيل له: لا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل، فتلقيه على الأمة مجملاً، فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله» [هذه هي الصوفية (ص١١٠)، والنص من ص٦ الكبريت الأحمر للشعراني على هامش اليواقيت والجواهر].

وقبل أن نوقفك على رأي الشيخ عبد الرحمن الوكيل - رحمه الله - عن الحقيقة المحمدية عند الصوفية أرى أنه من الضروري أن تقرأ أولاً ما كتبه عن:

أطوار الوجود الصوفي

حيث يقول: «تدين الصوفية بأن الوجود الإلهي له أطوار، أو مراتب، أو تنزلات أو تعينات، أو نسَب، أو إضافات، فكلها ذوات مدلول خرافي واحد». [هذه هي الصوفية ص٩١].

وأُولى تلك المراتب «الْعَمَاء» والوجود الإلهي في هذا الطور لا يوصف بوصف، ولا يُسمَّى باسم، ولا يُعرَف بحد ولا برسم، أو كما يقول الكمشخانلي: «اعلم أن حقيقة الذات الإلهية من حيث هي هي، امتدادها - أعني مدة بقائها - غير مضبوط؛ لأنها من حيث هي كذلك لا وصف لها، ولا رسم، فهي العماء؛ إذ لا يمكن معرفتها بوجه من الوجوه، ما لم تتعيَّن بصفة. وأول هذه التعينات علمُها بذاتها، فهذه الصفة تَنزُّلٌ لها من الحضرة الإلهية الذاتية التي لا نَعْتَ لها إلى الحضرة الواحديَّة التي هي حضرة الأسماء والصفات، وتُسمَّى: الحضرة الإلهية».

[جامع الأصول للكمشخانلي، ص ٩٣].

نقلت لك النص بتمامه، ليستيقن قلبك بأننا ننصف الصوفية، فلا نَسِمُهم إلا بما يُعرفون به، وقد يسمى الرب الصوفي في تلك المرتبة بالوجود المطلق، بيد أن النابلسي في غُلُوِّ التجريد الذي ينتهي به إلى العدم المطلق، ينزه الوجود في تلك المرتبة حتى عن الإطلاق؛ لأن وَصْفَهُ بالمطلق قَيْدٌ، أو صفة له، فيستلزم

أن يكون المطلق مقيدًا، والمقيد مطلقًا. [ومع هذا فهو واقع في التناقض؛ لأن الوصف بالسلب أي عدم الإطلاق قيد أيضًا بالوجود كالوصف بالإيجاب]. فيتوتَّر التناقض بين وصفيه، ويستلزم أن تكون له صفة، وهو مجرَّد كل التجريد في ذلك الطور عن الاسم والصفة !!

ولقد أراد هذا «العماء، أو الوجود المطلق» أن يتعيَّن في صورة؛ ليُعْرَف وليعرف نفسه.

[وهذه علة وضع الحديث الصوفي «كنت كنزًا مخفيًا، فأردت أن أُعرف، فخلقت الخلق، فبي عرفوني»، ويفسر الصوفية «فبي» بكلمة «محمد»؛ لأنها تساويها في العدد في حساب الجمل. [انظر كتاب دعوة الحق، تأليف الشيخ عبد الرحمن الوكيل (ص٣٢، ٣٣)].

فتعيَّنَ في صورة «الحقيقة المحمدية»، فكانت هي التعين الأول للذات الإلهية، أو الفَتْقَ بعد الرَّتق، أو مَعْبَرَ الوجود من الإطلاق إلى التقييد، أو من العماء إلى الأَحدية ثم الواحدية !!

الحقيقة المحمدية

يعرفها الصوفية بقولهم: «هي الذاتُ مع التعين الأول، ولها الأسماء الحسنى، وهي اسم الله الأعظم».

[انظر تحت المادة جامع الأصول في الأولياء للكمشخانلي، والتعريفات للجرجاني].

فمحمد £ عند الصوفية ليس بشرًا، ولا رسولاً، وإنما هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها ! !

يقول الدمرداش: «حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها، وهي المسمَّاة بحضرة الجمع، وبأحدية الجمع، وبها تتم الدائرة، وهي أول مرتبة تعيَّنت في غيب الذات، وهي الحقيقة المحمدية». [رسالة في معرفة الحقائق لمحمد الدمرداش، ص ٧].

ويقول الكمشخانلي: «صُوَرُ الحق هو محمد؛ لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية» [جامع الأصول في الأولياء للكمشخانلي ص ١٠٧]، فمحمد عندهم هو الاسم الأعظم، فما الاسم الأعظم؟ إنه «الجامع لجميع الأسماء، أو هو اسم الذات الإلهية من حيث هي هي، أي المطلقة» [السابق ص٩٢].

ومحمد هو الأحدية ! فما هي؟ إنها « مَجْلَى الذات الإلهية، ليس للأسماء، ولا للصفات، ولا لشيء من مُؤَثراتها فيه ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المُجَرَّدة من الاعتبارات الحقيَّة [أي لا توصف بأنها حق، أو خلق في تلك المرتبة] والخَلْقيَّة» [عن جامع الأصول تحت مادتي الأحدية والواحدية وعن الإنسان الكامل للجيلي (١ / ٣٠)].

ومحمد هو الواحدية، فما هي عندهم ؟ إنها «عبارة عن مَجْلَى ظهور الذات فيها صفة، والصفة فيها ذات» [الإنسان الكامل للجيلي (١ / ٣٠)].

والفرق بين الأحدية والواحدية: «أن الأحدية لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات، أما الواحدية فتظهر فيها الأسماء والصفات» [الإنسان الكامل للجيلي (١ /٣٠)].

وبهذا يتجلى لك أن الصوفية تعتقد في محمد أنه هو الله سبحانه ذاتًا وصفة، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنه هو الوجود المطلق، والوجود المقيَّد، أنه كان ولا شيء قبله، أو معه، ثم تعين في صور مادية سُمِّيَ في واحدة منها بجماد، وأخرى بحيوان، وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمَّى، وصدقت ماهيَّتُه على كل ماهيَّة! [انظر أيضًا مجلة الهدي النبوي عدد ٥ لسنة ١٣٦٦هـ]!

من هدي الله

ذاك هو محمد الصوفية، أما محمد خاتم النبيين £ ، فقد جلَّى لنا ربه وخالقه، ومن اصطفاه رحمة للعالمين، جلَّى لنا حقيقته في قوله الحكيم: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

ونحن نؤمن - كما هدى القرآن والسنة - بأن أول خلق اللَّه هو القلم، أو العرش، فمتى خلقت أسطورة الحقيقة المحمدية الصوفية؟! ونعلم بالتواتر القطعي أن عبد اللَّه بن عبد المطلب تزوج بآمنة بنت وهب، وأنهما أنجبا طفلاً سمِّي محمدًا، وأنه نشأ نشأة الخير والطهر والشرف والكرامة، وضيء الطفولة، نقي الصِّبا، طهور الشباب، فلم يَشُبْ نقاء صباه ريبة، ولم تهتف بقدس شبابه نزعةُ هوى، ولا نَزْعة صَبْوَة، فكانت دنياه كلها معبدًا يطيب أصائله وعشاياه وأسحاره بذكر الله وحده.

ونعلم أنه جَدَّ في الحياة راعي غنم، ثم تاجرًا، فكان في حياته المثل الأعلى في الجدِّ القوي الصالح، والأمانة التي تعتصم بالتقوى، والحكم الحكيمة في كل ما يُصَرِّف به شئون دنياه، والرعاية التي تقدس الحق والواجب كل ما حُمِّل من أمانة، وأنه كان في أطوار حياته الكاملَ في الأدب والخلق، وحكمة العقل وسمو العاطفة، ونباغة الفكر، وقوة الإرادة ومضاء العزيمة، وجلال الشرف، وعزة الكرامة، ونبل المروءة، وكرم الإيثار والنجدة، وسماحة النفس، فلم يغمر قلبه إلا حب الله، ولم تنزع به الإرادة إلا إلى الخير، ولا العاطفة إلا إلى السمو، ولا الفكر إلا فيما ينال به رضاء الله، جوادًا مِسْمَاحًا في سخائه وبِرِّه، محسنًا كل الإحسان في كل ما أنعم اللَّه به عليه، فلم يغضب إلا للحق، ولم يجبن إلا عن الذنب، ولم يطمع إلا فيما هو عند اللَّه، ثم اصطفاه ربه خاتمًا للنبيين، فجاهد في الله حق جهاده، وبَلَّغَ كل ما نُزِّلَ إليه من ربه، وشهد الله له بذلك، ثم قبضه الله إليه بعد أن صارت كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله وسلامه عليه.

هذا قبس نستهدي به حياة محمد £ ، فقل لي عن الحقيقة المحمدية، تلك الأسطورة الصوفية الموغلة في تيه القدم والعدم: من أبوها ؟ من أمها ؟ ومِمَّ خَلقت ؟ ولِمَنْ أُرْسِلَتْ؟!!



النقاب من الإسلام

قال الله تعالى: ° يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ˝ [الأحزاب: ٥٩].

من هدي النبي £

النقاب اقتداءً بزوجات النبي £

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (..فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي (مكان النزول في الغزوة) غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي؛ فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ) الحديث [البخاري ٤١٤١، ومسلم ٢٧٧٠].

من جوامع دعائه £

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ £ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» [أبو داود ٥٠٧٤، وصححه الألباني].

من دلائل النبوة

افتتان المسلمين بالغرب وتقليدهم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ £ قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ؛ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ» [البخاري ٧٣٢٠].

نساء السلف منتقبات

عن عاصم الأحوال رحمه الله عنه قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا، وتنقبت به فنقول لها: رحمك الله، قال الله: ° وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ˝ [النور: ٦٠]، هو الجلباب. قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: ° وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ˝، فتقول: هو إثبات الحجاب.

من فضائل الصحابة

عائشة زوج النبي £ في الدنيا والآخرة

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ £ فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». [الترمذي ٣٨٨٠، وصححه الألباني].



حكم ومواعظ

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: عند الله خزائن الخير والشر، ومفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير.

عن بشر قال: قال الفضيل: لا تخالط إلا حَسَنَ الخلق، فإنه لا يأتي إلا بخير، ولا تخالط سيئ الخلق، فإنه لا يأتي إلا بشر.

دعوة آكل الربا !!

سأل رجل ابن مسعود رضي الله عنه: إن لي جارًا لا يتورع عن أكل الربا، ولا من أَخْذِه ما لا يصلح، وهو يدعونا إلى طعامه، وتكون الحاجة فنستقرضه (أي نقترض منه المال)، فما ترى في ذلك؟ قال: إذا دعاك إلى طعامه فأجبه، وإذا كانت لك حاجة فاستقرضه، فإن إثمه عليه ومهنؤه لك. [كنز العمال].

من حكمة الشعر

قيل فيمن يعامل الناس كلهم بالمعروف:

ازرعْ جميلاً ولو في غيرِ موضعه
فلا يضيعُ جميلٌ أينما زُرِعا
إن الجميلَ وإن طال الزمانُ به
فليس يحصدُه إلا الذي زَرعا

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش». [لا أصل له].

والمشهور على الألسنة: «الكلام المباح في المساجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» وهو هو.

قُلْتُ: كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مكانًا تُحلُّ فيه المشاكل، وتُناقش فيه القضايا، ويُخطَّطُ فيه للمعارك، ويُنشد فيه الشعر، ويُحتفلُ فيه بالعيد.

الكرم والمروءة من أخلاق الإسلام

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أن معاوية سأله عن الكرم والمروءة. فقال: أما الكرم فالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحل، وأما المروءة فحفظ الرجل دينه، وإحراز نفسه من الدنس، وقيامه بضيفه، وأداء الحقوق، وإفشاء السلام. [كنز العمال]

النقاب عفة

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كنا نغطي من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام.

عن صفية بنت شيبة رضي الله عنها قالت: رأيت عائشة طائفة بالبيت وهي منتقبة. [جلباب المرأة المسلمة].









أثر السياق في فهم النص

الحلقة الرابعة عشرة

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

من المباحث المهمة في أصول الفقه مبحث العام والخاص؛ وذلك لأن كثيرًا من الأحكام في الكتاب والسنة تتعلق بهما، فهو من المباحث التي يُستفاد منها تطبيقًا في فهم دلالات النصوص.

ورحم الله الإمام الشافعي، أوَّل من قعَّد لكثير من مسائله، حتى قال الإمام أحمد: «لم نعرف العام والخاص حتى جاء الإمام الشافعي».

والإمام أحمد يقصد وضع القواعد لهما، ولا يقصد معرفتهما؛ لأنه بلا شك كان يعلم ضوابط العموم والخصوص، والتي كانت معلومة من عهد الصحابة رضي الله عنهم، وعهد التنزيل.

أولاً: تعريف العام

لغة: اسم فاعل من العموم، بمعنى الشمول والإحاطة، ومنه سُميت «العمامة» لأنها تحيط بالرأس.

اصطلاحًا: هناك تعريفات متعددة، وسائر التعريفات الأصولية عند الأصوليين فيها خلاف وأقوال، ربما تتباين أو تختلف.

ومن التعريفات الجامعة؛ أن العام اصطلاحًا: هو كلام مستغرق لما يصلح له، بحسب الوضع، دفعة واحدة، بلا حصر.

شرح التعريف

١- هو كلام مستغرق لما يصلح له: فما لا يستغرق ما يصلح له، ليس بعام، مثل قول القائل: «تناول بعض الطعام». فلفظة «بعض» لا تشمل كل الطعام، فهي ليست من ألفاظ العموم.

٢- بحسب الوضع: احتراز من الألفاظ المشتركة، مثل «عين»، فهي تصدق على عين الإنسان، وعلى الذهب، وعلى عين الماء، فإذن الوضع ليس واحدًا وإنما متعدد، ولهذا قال في التعريف «بحسب الوضع»: يعني بحسب وضع واحد، لا متعدد.

٣- دفعة واحدة: احتراز من المطلق؛ لأن المطلق عام، ولكن عمومه بدلي، مثل لو قال: أنفق ديناراً، وأنت تملك عشرة دنانير، فيتحقق الامتثال بإنفاق أي دينار من العشرة، فهذا يسمى بالعموم البدلي. أما لو قيل لك: أنفق كل دينار معك، فهنا لا يتحقق الامتثال إلا بإنفاق الدنانير العشرة كلها، وهذا هو العموم الشمولي.

٤- بلا حصر: لأن اللفظ أحيانًا يدل على الجمع، ولكنه لا يكون عامًا؛ لأنه يكون محصوراً، مثل ألفاظ الأعداد، مائة، وألف ونحوها.

فلو قلت: أنفق ألف دينار، فهذا ليس من ألفاظ العموم، وإن دل على جمع كثير؛ لأنه محصور بعدد ألف، وألفاظ العموم هي التي تستغرق ما يصلح لها بلا حصر معين، فإذا حُصر لم يكن عامًا.[شرح الورقات لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ١ / ٩١-٩٥ بتصرف].

ثانيًا: أنواع العام

العام ثلاثة أنواع: النوع الأول: عام أُريد به العموم قطعًا، وهو العام الذي صاحبته قرينة تنفي احتمال تخصيصه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

فهذا عام أُريد به العموم قطعًا، ولا يحتمل أي تخصيص، والقرينة التي جعلت عمومه قطعيًا هي أنه يقرر سنة إلهية لا تتبدل ولا يطرأ عليها التخصيص، فالمراد كل دابة دون استثناء.

وكقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨٢]، فهذا لا يدخله التخصيص، ولا يحل تخصيصه.

النوع الثاني: عام أُريد به الخصوص قطعًا، وهو العام الذي صحبته قرينة تنفي بقاءه على عمومه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]، فلفظ: «الناس» في هذا النص عام يشمل المكلفين وغيرهم كالأطفال والمجانين، ولكن هذا العام أريد به خصوص المكلفين؛ لأن العقل يقضي بخروج الصبي والمجنون، فتخصيص العام بالعقل في هذا النص جعل من المقطوع به: أن العام وهو «الناس» مراد منه الخصوص.

وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فهاهنا ثلاث صيغ للعموم: الذين، والناس في الموضعين.

ومعلوم أنه لا يمكن حمل واحد من هذه الألفاظ على عمومه.

النوع الثالث: العام المطلق، وهو الذي لم تصحبه قرينة تنفي احتمال تخصيصه، ولا قرينة تنفي عمومه.

وهذا النوع من العام يوجد في أكثر النصوص التي وردت فيها صيغ العموم مطلقة عن القرائن اللفظية أو الحالية، وهذا العموم ظاهر في العموم، حتى يقوم الدليل على تخصيصه. [انظر الرسالة ٥٣ - ٥٤، ٥٨، ومعالم أصول الفقه للجيزاني ٤١٩، والسياق وأثره في دلالات الألفاظ د. عبد المجيد السوسوة ٦٢، ٦٣].

ثالثًا: قاعدة في العام

يجب العمل بالنص العام، ولا يُصار إلى تخصيصه إلا بدليل؛ لأن العمل بنصوص الكتاب والسنة واجب على ما تقتضيه دلالتها؛ حتى يقوم دليل على خلاف ذلك.

ومن أدلة ذلك أن النبي ﷺ لما حذَّر من عدم إخراج الزكاة في الأنعام، فَسُئل عن الحُمُر، قال: لم ينزل عليَّ فيها إلاَّ هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. [متفق عليه].

فهنا استعمل الرسول ﷺ العمل بالعموم.

فإذن: العمل بالعموم واجب؛ لأن النبي ﷺ عمل به وهو المشرِّع. [شرح الأصول من علم الأصول ٢٦٠].

ومن أدلة ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم أجروا ألفاظ الكتاب والسنة على العموم، إلا ما دلَّ على تخصيصه دليل، فإنهم كانوا يطلبون دليل الخصوص لا دليل العموم، وكانوا يفهمون العموم من صيغته، فكان هذا إجماعًا منهم.

ومن الأمثلة على ذلك:

أ- لما نزل قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥]. قال ابن أم مكتوم: إني ضرير البصر، فنزل: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]، ففهم الضرير وغيره من عموم اللفظ (أنه يشمل الجميع). [البخاري ٢٨٣٢].

ب- ولما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. قال ابن الزبعرى: لأخصمن محمداً، فقال له: قد عُبدت الملائكة والمسيح، أفيدخلون النار؟ فنزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، [أخرجه الحاكم (٢ / ٤١٦ رقم ٣٤٤٩)، وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في صحيح السيرة (١/ ١٩٧)] فعقل العموم ولم ينكر عليه حتى بيَّن الله تعالى المراد من اللفظ. جـ- ولما سمع عثمان بن

مطعون قول لبيد: (وكل نعيم لا محالة زائل)، قال له: كذبت، إن نعيم الجنة لا يزول. [الإصابة ٢ / ٤٥٧]. و[معالم أصول الفقه ٤٢٢].

رابعًا: ألفاظ العموم

أولاً: من صيغ الأسماء: وهي كثيرة، نذكر منها:

١- كل: وهي أقوى صيغ العموم، فهي إذا أضيفت إلى نكرة، فهي لشمول أفراده، نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. [آل عمران: ١٨٥].

- ومنها إذا أضيفت إلى معرفة، وهي جمع أو ما في معناه، فهي لاستغراق أفراده أيضًا، مثل حديث النبي ﷺ: «... كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها». [مسلم ٢٢٣].

- وإذا أضيفت لمعرفة مفرد، فهي لاستغراق أجزائه أيضًا، نحو قولهم: كل الجارية حَسَنٌ، فمادة كل تقتضي الاستغراق والشمول، كالإكليل لإحاطته بالرأس.

فهي أصرح صيغ العموم لشمولها العاقل وغيره، المذكر والمؤنث، المفرد والمثنى والجمع، وسواءً بقيت إضافتها أو حذف المضاف إليه، نحو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢- جميع: وهي مثل كل، إلا أنها لا تضاف إلا إلى معرفة، فلا يقال: جميع رجل، ونقول: جميع الناس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

٣- كافَّة: كمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

٤- معشر: مثل قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ [الرحمن: ٣٣].

٥- سائر: مثل حديث جابر رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يأخذ ثلاثة أكُفٍ ويفيضها على رأسه، ثم يفيضه على سائر جسده. [البخاري ٢٥٦].

٦- من الشرطية: كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

٧- أسماء الاستفهام: جميع أسماء الاستفهام من صيغ العموم: كمثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]. «من» في الآية للاستفهام وهي تفيد العموم.

ومثل قوله تعالى: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، «ماذا» تفيد العموم.

٨- الأسماء الموصولة: جميع الأسماء الموصولة تفيد العموم؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل: ٤٦].

«ما» اسم موصول يفيد العموم.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، «الذين» اسم موصول يفيد العموم.

٩- أسماء الشرط: جميعها من صيغ العموم.

مثل قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، «أين» اسم شرط يفيد العموم.

ثانيًا: العموم المستفاد من الأساليب:

١- النكرة في سياق النفي: كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢].

فكلمة «إله» نكرة جاءت في سياق النفي بعد «ما» فأفادت العموم، ونفي جميع ما يعبد من دون الله تعالى.

٢- النكرة في سياق الشرط: مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤]، فكلمة «شيئًا» نكرة جاءت في سياق الشرط، فتكون للعموم، فأيَّ شيء تبديه أو تخفيه، فالله عالم به.

٣- النكرة في سياق النهي: كمثل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، [النساء: ٣٦] فكلمة «شيئًا» نكرة في سياق النهي، فتعم، فلو أشرك أحد مع الله نبيًا من الأنبياء، أو ملكًا من الملائكة، أو وليًا من الأولياء... أو غير ذلك دخل في العموم؛ لأن الآية عامة.

٤- النكرة في سياق الاستفهام الاستنكاري: مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦]، فهذا نكرة في سياق الاستفهام الإنكاري، وأما إذا كانت في سياق الاستفهام غير الإنكاري فإنها لا تدل على العموم، بل هي للإطلاق؛ لأنه لا يراد به النفي، وهي إنما كانت للعموم في سياق الاستفهام الإنكاري؛ لأن الاستفهام الإنكاري بمنزلة النفي، فإن قوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾، يوازن قوله: لا إله غير الله يأتيكم بضياء، ولهذا كانت النكرة في سياق الاستفهام الإنكاري دالة على العموم.

[فائدة: رأينا أن النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام تفيد العموم، وإذا سُبقت

النكرة بحرف جر زائد مثل (من) كما في قوله تعالى: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فتكون لتأكيد العموم].

ب- المعرَّف بالإضافة مفردًا كان أو مجموعًا، يفيد العموم، مثال المعرَّف بالإضافة المفردة: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومثال المعرَّف بالإضافة المجموعة: ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٧٤].

- ففي المثال الأول (نعمة) نكرة مفردة، لكن لما أضيفت إلى لفظ الجلالة، صارت تفيد العموم، فالمقصود تذكر نعمه عليك، صغيرها وكبيرها، ظاهرها ومستترها.

- والمثال الثاني (آلاء) نكرة مجموعة، فلما أضيفت إلى لفظ الجلالة صارت أيضًا تفيد العموم.

ثالثًا: العموم المستفاد من الحروف:

الألف واللام (ال): الاسم المعرَّف بالألف واللام الاستغراقية مفردًا كان أو مجموعًا يفيد العموم.

(ال) تكون:

١- للعهد: ومعناه أن يكون عند السامع علم بشيء قد جرى ذكره قبل ذلك، فهو معلوم عنده، فإذا دخلت (ال) هنا على الاسم، فيكون حكمها حسب المعهود (الاسم المذكور)، فإن دخلت على عام فالمعرَّف بها يكون عامًا، كمثل قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [٧٧].

- وإن دخلت على خاص كان المعرَّف بها خاصًا، كمثل قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾، فدخلت (ال) هنا على معهود مخصوص، وهو موسى عليه السلام.

[فائدة: العهد ثلاثة أنواع:

أ- العهد الذكري، وهو المذكور في المثال السابق ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾.

ب- العهد الحضوري: كأن تقول: «أكرم الرجل»، وأنت تريد رجلاً حاضرًا في المجلس.

ج- العهد الذهني: كأن تقول: «ذهب الإمام إلى كذا»، وفي أذهاننا أنك تقصد الإمام أحمد أو الإمام مالك.. حسب المذكور في الجملة].

٢- (ال) للاستغراق: كمثل قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [العصر: ١، ٢]، فـ (ال) في الإنسان تفيد العموم؛ لأنها للاستغراق، وعلامتها أنه يحل محلها (كل)، فكل (ال) يحل محلها (كل) فهي للعموم، وتسمى استغراقية.

٣- (ال) لبيان الجنس، فلا تدل على العموم، مثاله أن تقول: الرجل خير من المرأة، أو الرجال خير من النساء، فهذا قطعًا لا يراد به أن كل رجل خير من كل امرأة، لكن المراد أن جنس الرجال أفضل.

أو تقول: «التابعون خير من تابعي التابعين».

فهذا لبيان الجنس، ولا يعني أن كل واحد من التابعين خير من كل واحد من تابعي التابعين.

- فالخلاصة حتى نميِّز (ال) التي للعموم، هو أن نضع مكانها (كل) فإن صحَّ المعنى فهي للعموم.

[انظر: شرح الورقات لصالح آل الشيخ ٩٥- ١٢٠، شرح الكوكب المنير ٣ / ١٠٤ - ١٢٧، موسوعة هل يستوي الذين يعملون ٦٠ - ٦١، معالم أصول الفقه ٤٢٢ - ٤٢٤، شرح الأصول من علم الأصول ٢٤٥ - ٢٦٠].

خامسًا: الخاص

لغة: ضد العام (وسبق تعريف العام بأنه الشامل لجميع أفراده، والخاص ضده).

اصطلاحًا: اللفظ الدال على محصور بشخص، أو عدد كأسماء الأعلام والإشارة والعدد.

أسماء الأعلام مثل: محمد، علي، خالد، فهذه خاصة؛ لأن «محمدًا» لا تتناول غير المسمَّى بهذا الاسم، و«خالد» أو «علي» لا تتناول غير المسمَّى بهما، وهكذا بقية الأسماء.

وكذلك الإشارة، فاسم الإشارة خاص؛ لأنه يدل على شيء معين بالإشارة، ولا يشمل غيره، فإذا قلت: خذ هذا. فإنك لا تأخذ غيره.

وكذلك العدد: مائة رجل، مليون رجل، فهذا خاص، مع أنه يشمل الكثير لكنه محصور لا يتعدى.

التخصيص: لغة: ضد التعميم.

اصطلاحًا: إخراج بعض أفراد العام، أو: قصر العام على بعض أفراده بدليل يدل على ذلك.

مثال: حديث النبي ﷺ: «فيما سقت السماء العشر». [البخاري ١٤٨٣].

فهذا حديث عام يشمل قليل الزروع وكثيرها، والعمل به واجب حتى يأتي التخصيص.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة» [البخاري ١٤٨٤، ومسلم ٩٧٩].

فخصص الحديث الأول بأن جعل الزكاة الواجبة تستحق من خمسة أوسق فما فوقها، فجعل نصاب الحبوب خمسة أوسق. [الوسق: ستون صاعًا، والصاع: أربعة أمداد].

قال ابن بطَّال: واتفق جمهور العلماء بالحجاز والعراق والشام على أن التأويل عندهم في قوله ﷺ: فيما سقت السماء والعيون العشر، إذا كان الذي سقته السماء خمسة أوسق... لأنا نقضي بالخاص على العام. [شرح البخاري، ابن بطال ٦ / ٧٣، باب ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة].

والحمد لله رب العالمين، وللحديث بقية إن شاء الله.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فنكمل حديثنا حول العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- فنقول وبالله تعالى التوفيق:

موقفه المنصف من المخالف، وفقهه لأدب الخلاف

العلم والأدب صنوان لا يفترقان، بل أقول: ينبغي ألا يفترقان؛ لأن جمال العلم أدب جمّ يزين صاحبه ويدفعه للمعالي، ويبعده عن السفاسف، وعميق العلم لا يحتاج إلى لجاج في إثبات دعواه ولا تشنج في الرد على خصمه. وعفة اللسان منقبة كبيرة من وُفّق إليها فقد وُفّق للصواب، وكان حريًا بالأثر العظيم في نشر علمه وفقهه ومنهجه، وقد يُحرَم العالم من نشر علمه وإفادة الآخرين بسبب تقصيره في هذا المجال.

ولذلك لما فقه الصحابة أدب الخلاف ومن بعدهم الأئمة العظام؛ كان لذلك الأثر الفاعل في قبول الناس لقولهم والإفادة منه، وعلى ذلك سار أهل العلم والإيمان إلى يومنا هذا، ولله در النخبة والصفوة المميزة من علماء هذه الأمة كيف فقهوا العلم والأدب معًا، وما أحسن وأبلغ منهج شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ذلك، فله فيه القدم الراسخة والقمة السامقة، وعلى ذلك درج العلماء، يأخذ الخلف بمنهج السلف.

وكان شيخنا رحمه الله من هؤلاء الأئمة الذين جمعوا بين العلم وأدبه، فكان لمنهجهم التميز الموفق، والأثر العظيم، فكان الشيخ رحمه الله يسلك مسلك الحجة والدليل والبرهان الناصع مع عفة لسان وحسن أدب، لاسيما عند نقد المخالف، بل لعله أن يعتذر عن مخالفه، فانظر إليه رحمه الله عند إيراده القصة التي رُميَ فيها الآمدي بترك الصلاة، فعمد إليه بعضهم وأوقع على رجله شيئًا من الحبر فبقيت نحو يومين. فينبري الشيخ انبراء المنصف فيلتمس العذر له فيقول:

«قد يبقى الحبر أيامًا على العضو مع تتابع الوضوء والغسل، وخاصة عضو من لا يرى

التدليك فرضاً في الطهارة، بل يكتفي بإسالة الماء في غسله ووضوئه». ثم يختم القصة فيقول: «وعلى كل حال؛ فالأصل البراءة حتى يثبت النقل».

الله أكبر، هذا هو المنهج المتميز الذي يتلألأ أدبًا وأخلاقًا، أين هو من منهج كثير من الناس الذين أغرقوا بتتبع السقطات، وأولعوا بتصيُّد العثرات، فسوء الظن طويتهم، والمبادرة بالاتهام مطيتهم، فالله المستعان.

وقد كان الشيخ رحمه الله في تعليقه على مواضع من الإحكام مترسمًا منهج الأدب، فكان يصحح الخطأ، وينبه على الرأي المرجوح، فيقول مثلاً: الصحيح كذا، أو فيه نظر. ويبين الصواب، ولا يتهم أو يسيء الظن أو يعنِّف أو يقسو في العبارة، نعم قد يمسك المخالف من مأمنه، ويحتج عليه بنفس دعواه، ويتألم لمواضع التناقض عند من يخالفه، أو التعسف في الاستدلال أو تطويع النصوص لخدمة مذهب، أو الإقناع برأي معين.

وهذا نموذج يثبت ذلك: وهو أن الآمدي رحمه الله كثيراً ما يكرر أن مسائل الأصول قطعية، فيخالفه الشيخ رحمه الله، ويختار أن مسائل الأصول فيها ما هو قطعي، وفيها ما هو ظني، وقد تعقب الشيخ الآمدي رحمه الله في مواضع صرح الآمدي واعترف بأن بعض المسائل ظنية وأحيانًا يتوقف، ولم يكن الشيخ رحمه الله في ذلك معنفاً ولا متعسفاً، بل يوقف القارئ بكل أدب على خطأ المؤلف وتناقضه في المسألة.

ولعلي أختصر القول في ذلك بالإحالة إلى بعض النماذج الحية في هذا المعلم المهم، وهي كثيرة منها:[١ / ٨٨-١٣٣، ٢ / ٣٤-١١٧، ٣ / ٣٥-١٠٠، ٤/ ٣٢-٤٠، وغيرها].

وهكذا ينتهي الحديث عن هذا المَعْلَم، وبانتهائه تنتهي المعالم العشرة الرئيسة في منهج الشيخ الأصولي رحمه الله، وأعترف أنها خطوط عريضة وملامح خاطفة بحاجة إلى التعمق والدراسة والاستقصاء، وإني لأرى أن كل معلم منها بحاجة إلى بحث مستقل يتم من خلاله الشرح والبسط والاستقراء والتعليق والاستقصاء، لكن لعلي وُفِّقت بجهد المقل لأن أرسم صورة مختصرة عن منهجه رحمه الله، وإني لأطالب بدراسة آراء الشيخ الأصولية ومنهجه العلمي بشكل موسع ومقارن؛ ليفيد منه

> عفة اللسان منقبة كبيرة من وُفق إليها فقد وُفق للصواب، وكان حريًا بالأثر العظيم في نشر علمه وفقهه ومنهجه، وقد يُحرَم العالم من نشر علمه وإفادة الآخرين بسبب تقصيره في هذا المجال

الباحثون وطلاب العلم عامة والمتخصصون في علم الأصول خاصة، فهو بحر محيط - بلا مبالغة - جدير بإبحار المختصين للحصول على درره ولآلئه وأصدافه، رحم الله الشيخ عبد الرزاق رحمة واسعة.

الخاتمة:

وفي الختام: إن كان هناك توصيات في هذا الصدد فإنها تكمن في الحاجة الماسة إلى إيلاء علم الشيخ ومنهجه في مختلف الفنون، لا سيما في العقيدة والأصول والفقه ونحوها - العناية والإبراز من قبل المتخصصين وطلاب الدراسات العليا، وضرورة نشر ذلك للباحثين وربط الناشئة والأجيال العلمية المعاصرة بعلمائهم ومشايخهم ذوي الاعتقاد الصحيح والمنهج السليم.

وقبل أن أضع القلم أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى للشيخ رحمه الله سابغ الرحمة والرضوان والفردوس الأعلى في الجنان، وأن يجزيه عن المسلمين وطلاب العلم خير الجزاء، وأن يوفق الباحثين للاستفادة من علمه ومنهجه، وأن يجمعنا به في دار كرامته، وأن يوفقنا لرد شيء من جميله؛ وفاءً لبعض حقه علينا؛ إنه جواد كريم، وهو سبحانه خير مسئول وأكرم مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.





إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي خضعت لعزته الرقاب، وأشرقت لنور وجهه الظلمات، وصلح على شرعه أمر الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله تعالى أعد للعُصاة نارًا وقودها الناس والحجارة، وإننا نسأل الله تعالى أن يقينا حر هذه النار أردت أن أذكّر نفسي وإخواني الكرام بصفة النار، وسوء منقلب أهلها؛ لعلنا نتجنب المعاصي، ونسير على صراط الله المستقيم، الذي يوصلنا إلى مرضاة الله تعالى وجنة الخلد، فأقول وبالله تعالى التوفيق والسداد:

١- النار موجودة الآن:

قال ابن كثير – رحمه الله –: الجنة والنار موجودتان الآن، معدتان لأصحابهما، كما نطق بذلك القرآن، وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله £ ، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، المستمسكين بالعروة الوثقى إلى قيام الساعة؛ خلافًا لمن زعم أن الجنة والنار لم يخلقا بعدُ، وإنما يُخلقان يوم القيامة، وهذا القول صدر ممن لم يطلع على الأحاديث المتفق على صحتها في الصحيحين وغيرهما من كتب الإسلام المتعددة المشهورة بالأسانيد الصحيحة والحسنة، مما لا يمكن دفعه، ولا ردّه؛ لتواتره، واشتهاره.

وقد ثبت في الصحيحين: عن رسول الله £ «أنه رأى الجنة والنار ليلة الإسراء»، قال £ : «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب: أكل بعضي بعضًا، فأذن لها في نَفَسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الزمهرير من بردها، وأشد ما تجدون في الحر، من فيحها، فإذا كان الحر فأبردوا بالصلاة».

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ £ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» [البخاري ٣٢٤١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ £ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً (صوت سقوط شيء) فَقَالَ النَّبِيُّ £ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا». [مسلم ٢٨٤٤].

قال ابن كثير -رحمه الله-: الجنة والنار موجودتان الآن، معدتان لأصحابهما، كما نطق بذلك القرآن، وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة

٢- مرور جميع الناس على جسر جهنم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم:٧٢:٧١].

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ، قَالَ: قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفًا. قَالَ: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا». [مسلم ١٩٥].

٣- عظم حجم النار وشدة حرها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مسعود رضي الله عنه قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». [مسلم: ٢٨٤٢].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ (تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ». [البخاري ٦٦٦١، ومسلم ٢٨٤٨].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

قال عبد الله بن مسعود في قوله جل شأنه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: وادٍ في جهنم، بعيد القعر، خبيث الطعم. [تفسير ابن كثير (٩ / ٢٦٨)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا». [البخاري ٣٢٦٥، ومسلم ٢٨٤٣].

٤- أبواب جهنم:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

قال ابن كثير -رحمه الله- أخبر الله تعالى أن لجهنم سبعة أبواب: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ أي: قد كُتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه -أجارنا الله منها- وكل واحد يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر فعله.

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، حتى تُملأ كلها.

وقال ابن جريج: ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحُطَمَة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. [تفسير ابن كثير ٨ / ٢٦٠-٢٥٩].

٥- خزنة جهنم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

قال عكرمة: إذا وصل أول أهل النار إلى النار، وَجَدوا على الباب أربعمائة ألف من خَزَنة جهنم، سود وجوههم، كالحة أنيابهم، قد نزع الله من قلوبهم الرحمة، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرَة من الرحمة، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر، عرض صدر أحدهم سبعون خريفًا، ثم يهوون من باب إلى باب خمسمائة سنة، ثم يجدون على كل باب منها مثلَ ما وجدوا على الباب الأول، حتى ينتهوا إلى آخرها. [تفسير ابن كثير ١٤ / ٦٠].

٦- أجسام أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ

جُـــلُـــودُهُمْ
بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ غلظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ». [حديث حسن، صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٠٨٧].

٧- طعام أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة: ٣٥- ٣٧].

قال قتادة: ﴿ غِسْلِينٍ ﴾ هو شر طعام أهل النار. [تفسير ابن كثير ١٤ / ١٢١]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ [الغاشية: ١-٧].

قال ابن عباس: الضريع: شجر من نار. [تفسير ابن كثير ١٤ / ٣٣٠].

وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل: ١٢-١٣].

قال ابن كثير: ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ قال ابن عباس: ينشب في الحلق؛ فلا يدخل ولا يخرج. [تفسير ابن كثير ١٤ / ١٦٩].

وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].

وقال الله تعالى في وصف شجرة الزقوم: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٨].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً

> عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً قَطَرَتْ مِنَ الزَّقُّومِ فِي الأَرْضِ لأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ وَلَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ؟!»

قَطَرَتْ مِنَ الزَّقُّومِ فِي الأَرْضِ لأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ وَلَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ؟!». [حديث صحيح، صحيح الجامع للألباني حديث ٥٢٥٠].

٨- شراب أهل النار:

قال الله تعالى عن عذاب أهل النار: ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧].

قال مجاهد وعكرمة: الصديد: من القيح والدم. [تفسير ابن كثير ٨ / ١٦٨].

قال الله تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد:١٥].

قال ابن كثير: أي: حارًا شديد الحر، لا يُستطاع؛ ﴿ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ أي: قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء، عياذًا بالله من ذلك. [تفسير ابن كثير ١٣ / ٧٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩].

قال ابن عباس: «المهل»: ماء غليظ مثل دردي (ما رسب أسفل) الزيت. [تفسير ابن كثير ٩ / ١٣٢].

٩- ملابس أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠].

قال ابن كثير: وقوله ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ ﴾ أي: ثيابهم التي يلبسونها عليهم من قطران، وهو الذي تُهنأ به الإبل، أي: تُطلى، قاله قتادة. وهو

﴿ عَنْ أنس بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قال رسُولُ اللَّه ﷺ: «يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَيَبْكُونَ حَتَّى يَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الأُخْدُودِ لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهَا السُّفُنُ لَجَرَتْ» ﴾

ألصق شيء بالنار. [تفسير ابن كثير ٨ / ٢٣٨].

وقال سبحانه: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج: ١٩].

١٠- فرش أهل النار:

قال تبارك وتعالى: ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤١].

قال محمد بن كعب القرظي ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ قال: الفرش. ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ قال: اللحُفُ. [تفسير ابن كثير ٦ / ٣٠١].

وقال سبحانه: ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦].

١١- أهل النار يلعن بعضهم بعضاً:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨-٣٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨].

١٢- بكاء وصراخ أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٧].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَيَبْكُونَ حَتَّى يَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الأُخْدُودِ لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهَا السُّفُنُ لَجَرَتْ». [حديث حسن، صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٨٠٨٣].

١٣- سلاسل وأغلال أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان: ٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٢].

قال ابن عباس: (فاسلكوه) تدخل في إسته ثم تخرج من فيه، ثم يُنظمُون فيها كما يُنظَم الجراد في العود حين يشوى. [تفسير ابن كثير ١٤ / ١٢٠].

١٤- أدنى أهل النار عذاباً:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ». [مسلم ٢١٢].

١٥- النار تنسي صاحبها نعيم الدنيا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». [مسلم ٢٨٠٧].

١٦- أول من تسعّر بهم النار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ

الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» [مسلم ١٩٠٥].

١٧- النساء أكثر أهل النار:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ £ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». [البخاري ٣٢٤١].

١٨- جوارح أهل النار تشهد عليهم:

قال الله تعالى: ° وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ˝ [فصلت: ١٩-٢١].

وقال سبحانه: ° الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ˝ [يس: ٦٥].

١٩- خطبة إبليس في أهل النار:

قال الله تعالى: ° وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ˝ [إبراهيم: ٢٢].

٢٠- لا فداء لأهل النار من عذابها:

قال الله تعالى: ° إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ˝ . [المائدة: ٣٦].

عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلاَّ الشِّرْكَ». [البخاري ٣٣٣٤، ومسلم ٢٨٠٥].

٢١- عذاب النار دائم:

قال سبحانه: ° وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى ˝ [الغاشية: ١١- ١٣].

قال الله تعالى: ° وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ˝ [فاطر: ٣٦].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ». [حديث صحيح، صحيح الجامع للألباني ١٣٥٠].

٢٢- خروج عُصاة الموحدين من النار:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ £ قَالَ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ الإِيمَانِ». [حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني ٢٠٩٤].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ £ قَالَ: «لَيَخْرُجَنَّ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِي يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيُّونَ». [حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني ٢٠٩٦].

٢٣- النار لا تأكل آثار السجود من عُصاة الموحدين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ £ قَالَ: «تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ». [حديث صحيح، صحيح ابن ماجه للألباني ٣٤٩٢].

وهكذا في عصاة الموحدين الذين يخرجهم من النار توحيدهم، لكن الذي أوبقهم فيها ذنوبهم.

وختامًا: أسأل الله تعالى بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلى أن يجنبنا المعاصي وعذاب النار، وأن يجمعنا مع نبينا محمد £ في الفردوس الأعلى من الجنة، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين.



عندما يكون الزوجُ طاغوتًا

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد فرض الله سبحانه وتعالى على الأزواج سلوكًا وعِشْرة بالمعروف تجاه زوجاتهم، وهذه العِشْرة من أدَّاها على وجهها كان من خيار عباد الله المؤمنين، قال عليه الصلاة والسلام: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».[الترمذي ٣٨٩٥ وصححه الألباني].

ولقد أحسن الله تعالى إلى الزوج إحسانًا ينبغي له أن يقابله بالشكر والإحسان أيضًا، خاصة مع زوجته وشريكته في الحياة، فـ ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فإذا كانت زوجتك مأمورة ألا تصوم يومًا إلا بإذنك إن كنت حاضرًا في البيت؛ لئلا تفوت عليك فرصة مداعبتها والتسلي معها والاستمتاع بها، ثم يأمرك الله عز وجل أن تعاشرها بالمعروف فيقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩].

إذا بك تنسى أمر الله لك، وإحسانه إليك، فتتجاوز حدك، في حق من سواك وعدلك، فتهمل الوصية، وتتعدى العبودية، وبدلاً من أن تكون لله عبدًا صرتَ طاغوتًا ممقوتًا وندًا. فتظلم زوجتك بدون خوف أو وجل من الله عز وجل. وتمنعها حقوقها وتمنعها الشكوى لعالم أو قاضٍ أو أخ أو أب، فيا لك من جبار عنيد، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

فينبغي للمسلم أن يعرف واجباته تجاه أهله؛ حتى لا يقصر في ذلك؛ لأن الإنسان قد يحرم زوجته من أشياء هي من حقها، وقد يطلق لها العنان في أمور كان عليه أن يمنعها، وكل ذلك يلحق بها الأضرار، و«لا ضرر ولا ضرار» [ابن ماجه ٢٣٤١، وصححه الألباني].

ومن عدل الله تبارك وتعالى أنه عدل بين الزوجين، فأمر الأزواج وأمر الزوجات ولم يخص واحدًا منهما بالأمر، حتى لا يكون ذلك ظلمًا للآخر: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فمن أدى واجباته نحو زوجته وحافظ عليها، وأداها على وجهها؛ فقد حفظ وصية النبي ﷺ في أهله، قال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا» [مسلم ١٤٧٠]، وهو من خيار عباد الله المؤمنين، قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» [الترمذي ٣٨٩٥، وصححه الألباني].

فهناك حقوق عظيمة فرضها الله على كل زوجٍ، هذه

الحقوق إذا قام الأزواج بها على وجهها؛ كانت السعادة والطمأنينة، وشعرت المرأة بفضل الزوج، وأنه مؤمن قائم لله عز وجل بحقه وحقوق عباده، وإذا رأت المرأة من زوجها الاستهانة والاستخفاف بحقوقها تنكّد عيشها، وتنغصت حياتها، حتى إنها ربما لا تستطيع أن تقوم بعبادتها لله على وجهها؛ بسبب ما ينتابها من الوساوس والخطرات، وبما تحسّه من الظلم والاضطهاد والأذية.

ولذلك قال العلماء: إن إضاعة حقوق الزوجات أعظم خطرًا من إضاعة حقوق الأزواج؛ لأن الزوجة إذا ضاع حقها لا تدري ماذا تفعل، ولا أين تذهب، وهي تحت ذلك الزوج الذي يمسكها للإضرار والتضييق عليها. ولا تستطيع الخروج إلا بإذنه، وكل حركتها مقيدة برضاه.

وأما الرجل فإنه إذا ظلمته المرأة وضيّعت حقه استطاع أن يطلقها، وقد يكون بقوته، وما أعطاه الله من الخِلْقة وفطره عليها يستطيع أن يصبر ويتحمل، وقد ينهرها ويهجرها، وربما ضربها، ولكن المرأة لا تستطيع ذلك.

ولذلك أنزل الله في كتابه آية المجادلة، وأخبر أنه سمع شكوى المرأة من فوق سبع سماوات، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها: « قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ تَشْتَكِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ £ ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّبِيِّ £ : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ ». [أورده البخاري معلقًا مجزومًا به، ووصله النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، وصححه الألباني].

فالمرأة إذا ظُلمت، وضيّق عليها، واضطهدت لا تستطيع الشكوى إلا إلى الله، بل يبلغ ببعض النساء أنه يضيع حقها، وتُضطهد في بيتها، وتُظلم من زوجها، ولا تستطيع الشكوى لا لأبيها ولا لأخيها، ولا لقرابتها؛ وفاءً لبعلها وزوجها، أو ربما منعًا منه لها، وتضييقًا عليها، وقد لا تستطيع الدعاء عليه، ولا شكوى أمره إلى الله؛ لأنها تحبه ولا تريد السوء له، وهذا يقع في المرأة الحرة الأبيّة؛ ولذلك تقع بين نارين لا تستطيع الصبر عليهما إلا بالله عز وجل.

هذه الحقوق التي فرضها الله على الأزواج تنزلت من أجلها الآيات، ووقف النبي £ في حجة الوداع أمام أصحابه في آخر موقف وعظ به أكثر أصحابه، فكان مما قال: «اتقوا الله في النساء» [أبو داود ١٩٠٥، وصححه الألباني].

وقال: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول». [الحاكم في المستدرك وصححه ٨٥٢٦].

وواجب ثان أوجبه الله للزوجات على أزواجهن، وهو حق النفقة.

وهذا حق دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع: قال الله في كتابه: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق:٧] و(ذو سعة) يعني قدرة. و(من سعته) أي: مما أعطاه الله عز وجل ووسّع عليه من المال، ينفق إذا كان غنيًا مما آتاه الله على قدر غناه، وإذا كان فقيرًا مما آتاه الله على قدر فقره، هذه الآية الكريمة يقول العلماء فيها أمران:

الأمر الأول: وجوب النفقة في قوله: (لينفق) فالنفقة واجبة.

وأما الأمر الثاني: أنها تتقيد بحال الرجل إن كان غنيًا فينفق نفقة الغني.

فذو سعةٍ من سعته: ذو الغنى من غناه، وذو الفقر من فقره في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ [الطلاق:٧]، وكذلك أوجب الله النفقة في قوله سبحانه: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء:٣٤]، فأخبر سبحانه أن الرجل له فضلٌ على المرأة بالقيام بنفقتها.

وثبت في السنة الصحيحة عن النبي £ الأمر بالنفقة والحث عليها، ووصية الأزواج بالقيام بها على وجهها، حتى أباح للمرأة أن تأخذ من مال الزوج إذا امتنع من الإنفاق عليها، قال عليه الصلاة والسلام حينما اشتكت إليه هند رضي الله عنها،

قال العلماء: إن إضاعة حقوق الزوجات أعظم خطرًا من إضاعة حقوق الأزواج؛ لأن الزوجة إذا ضاع حقها لا تدري ماذا تفعل، ولا أين تذهب، وهي تحت ذلك الزوج الذي يمسكها للإضرار والتضييق عليها. ولا تستطيع الخروج إلا بإذنه، وكل حركتها مقيدة برضاه

فقالت: «يا رسول الله! إن أبا سفيان رجلٌ شحيح مسّيك، أفآخذ من ماله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف». [البخاري ٢٢١١، ومسلم ١٧١٥].

وقولها: «رجل شحيح مسّيك» أي: رجلٌ شحيح، ويمسك المال، فإذا أنفق لا ينفق نفقةً تكفيني، وكذلك أيضًا: مسيك، أي يخاف على ماله.

وأما الدليل الثاني من السنة: فإن النبي £ قال: «إن لنسائكم عليكم حقًا، ولكم على نسائكم حقًا، فأما حقكم على نسائكم: أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، وأن لا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، وأما حقكم عليهن: أن تحسنوا إليهن في طعامهن وفي كسوتهم» [الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٨٠].

«فأما حقهن عليكم» قالوا: قوله حق، يدل على أنه واجب، ولكن على الزوج، فدل هذا الحديث على أن النفقة من الزوج على زوجته واجبة ولازمة.

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ - أَوِ اكْتَسَبْتَ - وَلاَ تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلاَ تُقَبِّحْ، وَلاَ تَهْجُرْ إِلاَّ فِي الْبَيْتِ». [أبو داود ٢١٤٤، وصححه الألباني].

فدل على أن من حق المرأة على زوجها أن يطعمها ويكسوها، وأجمع العلماء رحمةُ الله عليهم: على أن الزوج يجب عليه أن ينفق على زوجته بالمعروف.

قال بعض أهل العلم: إنما وجبت النفقة على الرجال؛ لأن المرأة محبوسةٌ في البيت، وقد أشار النبي £ إلى ذلك بقوله في خطبته في حجة الوداع: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هنّ عوانٍ عندكم» [الترمذي (٣٠٨٧)، وأصل الحديث رواه مسلم ٣٧٢٠].

ثبت في السنة الصحيحة عن النبي £ الأمر بالنفقة والحث عليها، ووصية الأزواج بالقيام بها على وجهها، حتى أباح للمرأة أن تأخذ من مال الزوج إذا امتنع من الإنفاق عليها

وعوان: أي أسيرات، قالوا: ولذلك أُمِرَ الرجل أن يقوم بالإنفاق على المرأة من أجل هذا.

أما الأمر الآخر الذي جعل النفقة على الرجل للمرأة: فالحقوق المتبادلة والمنافع التي يبادل كلٌ منهما الآخر، فالمرأة يستمتع بها الرجل، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء:٢٤]، فاستحقت أن تأخذ أجرها على ما يكون منها من القيام بحق بعلها في فراشه.

ولذلك قالوا: إذا نشزت وامتنعت من الفراش كان من حقه أن يمتنع من الإنفاق عليها، ونصّ بعض العلماء على أن من أسباب النفقة كونها فراشًا للرجل، فلهذا كله أوجب الله على الرجال الإنفاق على النساء، والقيام بحقوقهن، وهذه النفقة تنحصر في الإطعام والكسوة والسكن، فهذه ثلاثة أمور ينبغي للزوج أن يراعيها في إنفاقه على زوجته وأهله وولده.

وفي أمر الإطعام خاصة يُلزم الزوج بكل ما يهيئ به الطعام عرفًا، فيشتري للمرأة الآلات والوسائل التي يمكن معها إصلاح الطعام، ويعتبر شرعًا ملزمًا به، فإن امتنع أُجبر قضاءً، ومن الأخطاء أن بعض الأزواج يمتنع من شراء بعض الآلات ويلزم الزوجة بشرائها، وقد يلزم أولياءها بشرائها، وهذا يعتبر من الظلم، بل ينبغي للزوج أن يشتري آلة الطهي وإعداد الطعام ومواعينه، ونحو ذلك، فهو ملزمٌ بها شرعًا، ولكن قد تطالب المرأة بما هو أفضل، فتطالب بشراء ما هو أغلى وأجود، فمن حق الزوج أن يردّها إلى الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، خاصةً إذا كان من غير ذوي اليسار.

لكنْ هل يجب عليه أن يعطيها نفقة الطعام بيدها، أم أنه يشتري الطعام لها؟

إذا كان الزوج يريد إعطاء المرأة المال بيدها فلا بأس، لكن إذا كانت المرأة سفيهةً بالتصرف، ولا تُحسن القيام والنظر لنفسها وولدها، فإن من حقه أن يلي شراء ذلك، قال العلماء: إنه إذا كانت المرأة لا تُحسن الأخذ لنفسها ولا الإعطاء لغيرها كان من حقه أن يلي الإنفاق بنفسه، لكن الأصل أنه يعطيها النفقة بيدها، وذلك يختلف باختلاف الناس.

الزوج مسئول عن استيفاء حق الله وعبادته من زوجته

هذه الحقوق أعظمها وأجلّها: حق الأمر بطاعة الله عز وجل، فأول ما ذكر العلماء من حقوق الزوجة

على زوجها أن يأمرها بطاعة الله تبارك وتعالى، وهذا الحق من أجله قام بيت الزوجية، فإن الله شرع الزواج وأباح النكاح؛ لكي يكون عونًا على طاعته، ويكون سبيلاً إلى رحمته، فالواجب على الزوج أن يأمر زوجته بما أمر الله، وأن ينهاها عما حرم الله، وأن يجنبها عقوبة الله وناره، أشار الله تعالى إلى هذا الحق العظيم بقوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه:١٣٢].

وكان بعض أهل العلم يتعجب من هذه الآية الكريمة: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ﴾ [طه:١٣٢]؛ لأن الله قال فيها: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾، ثم قال بعد أمره بالصبر والاصطبار عليها: ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾، قالوا: إنه ما من زوج يقوم بحق الله، وما فرض الله عليه في أهله وزوجه، ويعظها ويذكرها حتى يقوم البيت على طاعة الله ومرضاة الله، إلا كفاه الله أمر الدنيا، فالله عز وجل يقول: ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ﴾؛ كأن إقامته لأمر الله طريقٌ للبركة في الرزق، وطريقٌ للخير والنعمة على هذا البيت المسلم القائم على طاعة الله ومحبته عز وجل.

فللمرأة على بعلها حق الأمر بطاعة الله؛ ولذلك كان من وصية الله لعباده المؤمنين على لسان رسوله ﷺ إذا أرادوا الزواج: أن يختاروا المرأة الديِّنة المؤمنة الصالحة؛ لأنها هي التي تقيم بيتها على أمر الله عز وجل وما فرض الله، قال ﷺ: « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ ». [البخاري ٥٠٩٠، ومسلم ٣٧٠٨].

قال العلماء: إنما قال: (فاظفر بذات الدين)؛ لأنها غنيمةٌ، وأي غنيمة، إن أمرها بطاعة الله ائتمرت، وإن نهاها عن حدود الله ومحارمه انكفت وانزجرت، وهذا الحق -وهو الأمر بطاعة الله- إذا ضيعه الزوج خذله الله في بيته، وخذله الله مع أهله وزوجه وأولاده، فلم تر عينك رجلاً لا يأمر بما أمر الله في بيته، ولا يتمعر وجهه عند انتهاك حدود الله مع أهله وولده؛ إلا سلبه الله الكرامة، وجعله في مذلة ومهانة، وجاء اليوم الذي يرى فيه سوء عاقبة التفريط في حق الله الذي أوجب الله عليه في أهله وولده، ولا يستطيع أن يقوم بهذا الحق على أتمّ الوجوه وأكملها إلا بأمورٍ مهمة نبَّه العلماء عليها منها:

الأول: - وهو أعظمها - أنه إذا أراد نصيحة زوجته بأمرٍ مما أمر الله أو نهيٍ عما حرم الله، فينبغي أن يكون السبب الباعث له هو مرضاة الله، لا من جهة السمعة أو من جهة العاطفة.

الثاني: القدوة، فإن الزوجة لا تطيع زوجها، ولا تمتثل أمره، ولا تعينه على أداء هذا الحق بامتثال ما يقول إلا إذا كان قدوةً لها، ولذلك فالواجب على الزوج أن يهيئ من نفسه القدوة لزوجته، كيف تطيع الزوجة زوجها إذا أمرها بواجب وحثّها على أدائه وهي تراه يضيع حقوق الله وواجباته؟!

كيف تطيع الزوجة زوجًا يقول لها: اتق الله، وتراه ينام عن الصلوات، ويضيع الفرائض والواجبات، وتراه لا يبالي بحقوق الناس؟! فلذلك إذا وجدت القدوة تأثرت الزوجة، وأحسّت أن هذا الكلام الذي يخرج من الزوج يخرج بإيمانٍ وقناعة، وأنه ينبغي أن تمتثله، وأن تسير على نهجه؛ لأنها ترى الكلام مطابقًا للفعل فتتأثر بذلك وسُرعان ما تمتثل.

الثالث: تخيّر الكلمات الطيبة التي تلامس شغاف القلوب، وتؤثر في المرأة؛ فتستجيب لداعي الله بامتثال أمره وترك نهيه، وهذا هو الذي عناه الله وأوصى به كل من يعي، فقال سبحانه: ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [النساء:٦٣]، فالذي يريد أن يقيم زوجته على طاعة الله يتخيّر أفضل الألفاظ وأحسنها، والتي تؤثر في نفسية الزوجة ترغيبًا أو ترهيبًا، فإن كانت الزوجة تستجيب بالترغيب حثّها بالترغيب، وإن كان تستجيب بالترهيب حثّها بالترهيب وخوفها، ويكون ذلك بقدرٍ، مع الإشفاق وخوف من الله عز وجل.

قال الله عز وجل: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، فالموعظة الحسنة هي الموعظة المشتملة على الكلمات الطيبة، والنصائح القيمة الهادفة.

وعلى الزوج أن يتقي الله، وأن يأمر زوجته بما أمر الله وأن ينهى عما نهى الله عنه، ولا سمع له ولا طاعة إذا أمر بالمنكر، قال ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف» [البخاري ٤٣٤٠].

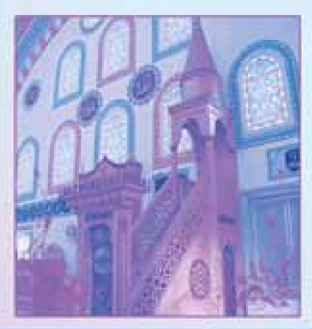
والحمد لله رب العالمين.



ثابت بن قيس الأنصاري رضي الله عنه

خطيب النبي





إعداد/ محمد فتحي عبدالعزيز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد: فإن اسم ثابت في الصحابة كثير، واسم ثابت بن قيس ذكر ابن حجر - رحمه الله - في الإصابة منهم أربعة، ثابت بن قيس بن الخطيم، وثابت بن قيس بن زيد بن النعمان، وثابت بن قيس أبو الورد، وثابت بن قيس ابن شماس، وهو صاحبنا الذي نعيش معه اليوم، وكلهم من عظماء الصحابة وساداتهم، بل كل أصحاب النبي الكريم عظماء وسادة، من تنقّص واحدًا منهم، أو قدح في عدالة أحدهم، أو جعل أحدًا منهم غرَضًا، فقد فارق السنة والجماعة، وصار إلى البدعة والضلالة.

فحب أصحاب النبي £ من محبته، وبغضهم عنوان بغضه، كما جاء في الحديث الصحيح.

ومن طعن فيهم أو سبّهم فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم.

وصاحبنا اليوم هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث. الخزرجي الأنصاري، أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن الصحابي الجليل، المبشَّر بالجنة، والمبشر بالشهادة، خطيب الأنصار، وخطيب النبي عليه الصلاة والسلام، لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا، وبيعة الرضوان وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله £ ، قال ابن حجر: أول مشاهده أحد، وشهد ما بعدها. [الإصابة ٢ / ١٤].

سيّد من سادات الخزرج، وشريف من شرفائهم، حباه الله بصفات كثيرة لم تكن تجتمع في رجل واحد، وكان من أبرزها وأعلاها حسن منطقه، ولباقة حديثه.

فلقد كان ثابت جَهْوَرِيَّ الصوت، خطيبًا مفوهًا، كاتبًا وشاعرًا فصيحًا، عليمًا بمقامات الكلام، قوّامًا بالكلمة الفاضلة.

حباه الله عز وجل لسانا قؤولاً، وقلبًا عَقولاً، ومنطقًا بليغًا، يدرك ما يقول في بيان الكلام، ويعرف مكان المقاتل في ضرب الحسام؛ فلقد خاض عددًا من المعارك في الجاهلية التي كانت دائرة بين قومه الخزرج وبين الأوس، وكان

آخرها يوم بُعاث؛ حيث شارك بلسانه وسنانه في تلكم المعارك، ولكن الله عز وجل أكرم الأوس والخزرج، ووحدّهم تحت كلمة الأنصار؛ فكانوا أنصارًا لرسول الله £ ، ومؤيدين خُلَّصًا، ومؤمنين أكارم.

أمه هند الطائية، وقيل بل كبشة بنت واقد ابن الإطنابة، أسلمت وكانت ذا عقل وافر، وإخوته لأمه: عبد الله بن رواحة، وعمرة بنت رواحة، وكان زوج جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول، فولدت له محمدًا، وهو أيضًا زوج حبيبة بنت سهل التي وقعت معها قصة الخلع المشهورة، وقيل بل كان ذلك مع جميلة.

فعَنْ حَبِيبَةَ بِنْتِ سَهْلٍ الأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ خَرَجَ إِلَى الصُّبْحِ فَوَجَدَ حَبِيبَةَ بِنْتَ سَهْلٍ عِنْدَ بَابِهِ فِي الْغَلَسِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ. قَالَ: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: لا أَنَا وَلا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ لِزَوْجِهَا. فَلَمَّا جَاءَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ £ : هَذِهِ حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ، وَذَكَرَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَذْكُرَ، وَقَالَتْ حَبِيبَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ مَا أَعْطَانِي عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: خُذْ مِنْهَا، فَأَخَذَ مِنْهَا وَجَلَسَتْ هِيَ فِي أَهْلِهَا». [سنن أبي داود ٢/ ٢٦٨ ح ٢٢٢٧، وقال الألباني: صحيح]

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ £ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلا دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الإِسْلامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «اقْبَلْ الْحَدِيقَةَ، وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً» [البخاري «٥٢٧٣].

وهذا المثال يُظهر عظمة هذا الدين في تربية أهله، أدب، وسمو خلق، وعدل، «ما أعيب عليه في خلق ولا دين».

فأين هذا من الظلم والبغي والتعدي، والكذب في العلاقات الأسرية، والمشاكل الزوجية، فيا ليت قومي يعلمون !!

وقد آخى رسول الله £ بين ثابت وبين عمار بن ياسر، قاله ابن إسحاق، وذلك عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، وكان قبل ذلك قد آخى بين الأوس والخزرج، وقيل: بل المؤاخاة كانت بين عمار وحذيفة.

وما أحوج الأمة اليوم إلى الأخوة الصادقة، والروابط القوية، لتتوطد أركانها، ويرتفع بنيانها.

وكان -رضي الله عنه- جهير الصوت، خطيبًا، بليغًا، داعيًا إلى الله ورسوله، يحمل هم الدين، وينافح عن النبي الأمين.

إسلامه

هو أحد السابقين إلى الإسلام في المدينة، إذ ما كاد يستمع إلى آي الذكر الحكيم يرتلها مصعب بن عمير بصوته الشجي حتى أسر القرآن سمعه بحلاوة كلامه، وملك قلبه برائع بيانه، وخلب لبّه بما حفل به من هدى وتشريع، فشرح الله صدره للإيمان، وأعلى قدره، ورفع ذكره بالانضواء تحت لواء نبي الإسلام وسيد الأنام £ .

خطيب الأنصار

عن أنس رضي الله عنه، قال: خطب ثابت بن قيس رضي الله عنه مَقْدَمَ رسول الله £ المدينة، فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا ؟ قال: الجنة. قالوا: رضينا. [الحاكم في المستدرك ٥٠٣٣، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم].

فسُمِّي من يومها خطيب الأنصار.

أما كونه خطيب رسول الله

ففي عام الوفود وفد على النبي £ وفد بني تميم، وقالوا لرسول الله £ : جئنا نفاخرك، فائذن لشاعرنا وخطيبنا، فابتسم الرسول £ ، وقال لهم: (قد أذنت لخطيبكم.. فليقل) وقام خطيبهم عطارد بن حجاب ووقف يزهو بمفاخر قومه فقال: (الحمد الله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله، الذي جعلنا ملوكًا، ووهب لنا أموالاً عظامًا نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل الشرق، وأكثره عددًا، وأيسره عدة، فمن مثلنا في الناس، ألسنا رءوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نعرف بذلك.. أقول هذا لأن تأتوا بمثل

قولنا، وأمر أفضل من أمرنا) ثم جلس.

فقال رسول الله £ لثابت بن قيس بن الشماس، قم فأجب الرجل، فقام ثابت، فقال: (الحمد الله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا أئمة.. واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمهم نسبًا، وأصدقهم حديثًا، وأفضلهم حسبًا، فأنزل عليه كتابه، وأتمه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس أحسابًا وخيرهم فعالاً، وأحسن الناس وجوهًا، ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله £ .. فنحن أنصار الله ووزراء رسوله).

وعن أبي هريرة قال: قال النبي : «نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس» [الترمذي ٣٧٩٥، وصححه الألباني].

وعن الزهري أن وفد تميم قدموا وافتخر خطيبهم بأمور؛ فقال النبي £ : لثابت بن قيس: «قم فأجب خطيبهم» فقام، فحمد الله وأبلغ. وسُر رسول الله £ والمسلمون بمقامه.

وعن زيد بن أسلم قال سمعت ابن عمر يقول: قدم رجلان من المشرق خطيبان على عهد رسول الله £ ، فقاما فتكلما، ثم قعدا، وقام ثابت بن قيس خطيب رسول الله £ فتكلم، فعجب الناس من كلامهما؛ فقام رسول الله £ يخطب فقال: «يا أيها الناس قولوا قولكم، فإنما تشقيق الكلام من الشيطان، ثم قال رسول الله £ إن من البيان لسحرًا.[الأدب المفرد ١ / ٣٠٢ وصححه الألباني].

دين وورع

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ £ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ؛ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ £ ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». [البخاري ٤٨٤٦].

وعن أنس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى: ﴿وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ ، وكان ثابت ابن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله £ حبط عملي، أنا من أهل النار، وجلس في أهله حزينًا، ففقده رسول الله £ ، فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله £ ، ما لك ؟ قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي £ ، وأجهر له بالقول حبط عملي، أنا من أهل النار. فأتوا النبي £ فأخبروه بما قال، فقال: «لا بل هو من أهل الجنة». قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة. فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس، وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تُعوّدون أقرانكم. فقاتلهم حتى قُتل. [المسند ٣ / ١٣٧].

فانظر -رحمني الله وإياك- إلى حالنا اليوم وحال أصحاب النبي £ ، كان كل واحد منهم يرى أن الآية ما نزلت إلا فيه، فصلحت أحوالهم، واستقامت أمورهم، فمكن الله لهم، وخلد في العالمين ذكرهم.

ثناء النبي £ على ثابت

وكان ثابت بن قيس من القلائل الذين أثنى عليهم النبي £ وخصهم بالثناء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، نِعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ [الترمذي ٣٧٩٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٧٧٠].

بشارة النبي £ لثابت

عَنْ إِسْمَاعِيلَ بن مُحَمَّدِ بن ثَابِتِ بن قَيْسِ بن شَمَّاسٍ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّ ثَابِتَ بن

قَيْس، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكْتُ، قَالَ: لِمَ ؟ قَالَ: يَمْنَعُ اللَّهُ الْمَرْءَ، أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، وَأَجِدُنِي أُحِبُّ الْحَمْدَ، وَيَنْهَى عَنِ الْخُيَلاءِ، وَأَجِدُنِي أُحِبُّ الْجَمَالَ، وَيَنْهَى اللَّهُ أَنْ نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا فَوْقَ صَوْتِكَ، وَأَنَا جَهِيرُ الصَّوْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه £ : يَا ثَابِتُ أَلَيْسَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ [الحاكم في المستدرك ٥٠٣٤، وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي].

يا لها من بشرى عظيمة. جمعت خيري الدنيا والآخرة. يا لها من بشرى تجعل القلب يطير من مكانه رضًا وفرحًا وسرورًا.

أما ترضى أن تعيش حميدًا؟ وأي منزلة يريد صاحب المكارم في هذه الدنيا غير أن يعيش حميدًا غير مذموم من الخلق أو الرب؟

أما ترضى أن تُقتل شهيدًا؟ وأي درجة أرفع من هذه الدرجة درجة الشهداء، فيكون في زمرة النبيين والصديقين. يغفر له مع أول قطرة من دمه، ويأمن الفزع الأكبر يوم القيامة، وفوق ذلك توهب له الحياة الأبدية، فإن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح تحت العرش.

أما ترضى أن تدخل الجنة؟ إنه الفوز الأكبر، والنجاح الأعظم: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾.

والحديث ضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة رقم ٦٣٩٨ لكن قال في آخره: إن ما في الحديث من شهاداته £ لثابت بن قيس بأنه من أهل الجنة، وخوفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من رفعه صوته فوق صوت النبي £ قد صح ذلك من حديث أنس عند البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١/ ٧٧) وابن حبان (٧١٢٤) والبيهقي (٦ / ٣٥٤)، وأحمد (٣ / ١٣٧ و ١٤٦)، وغيرهم من طرق عن أنس، وفي بعضها أنه قتل شهيدًا يوم اليمامة. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. اهـ

قلت: في رواية البخاري من حديث أنس: قال له: اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة. وعند ابن حبان: يا ثابت ألا ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فعاش حميدًا وقتل شهيدًا يوم مسيلمة الكذاب.

وصية ثابت واستشهاده

يقول أنس رضي الله عنه: إن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب، وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين فكفن فيهما وقد انهزم القوم، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر من صنيع هؤلاء، بئس ما عودتم به أقرانكم، خلوا بيننا وبينهم ساعة، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله £ ، ثم حفر كل واحد منهما له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا، وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه، فقال له: إني أوصيك بوصية؛ فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، إني لما قُتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالدًا فمره أن يبعث إلي درعي فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله £ - يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه -، فقل له: إن عليَّ من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيق عتيق فلان، فأُتي الرجل خالدًا فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها وحدث أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته بعد موته. قال: ولا نعلم أحدًا أُجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رضي الله عنه.

والقصة ثابتة وصحيحة فقد رواها الطبراني في المعجم الكبير [١٣٢١]، والحاكم في المستدرك [٥٠٣٦] وصححها على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وليس فيها دليل لأهل البدع في أخذهم الأحكام من المنامات؛ لأنه ليس فيها حكم شرعي من حلال أو حرام أو مستحب أو واجب، ولكن فيها الوصية بأمر يتعلق بماله ودَيْنه، وتم التأكد من صحة الرؤيا بوجود الدرع في المكان الذي وصفه ثابت للرجل في منامه، ولذلك أنفذ أبو بكر رضي الله عنه وصيته؛ لتبين صدق الرؤيا، وأما أهل الأهواء والبدع، فيأخذون مناماتهم على أنه من طرق التشريع، وهذا لا يجوز بالإجماع، لا يختلف في ذلك العلماء، أن المنامات ليست من الأدلة الشرعية.

رحم الله ثابت بن قيس، ورضي الله عنه، وجمعنا به في عليين.

تحذير الداعية من القصص الواهية الحلقة (١١٥)

قصة الميت الذي يقرأ القرآن من داخل القبر

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم لبيان حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، واتخذها القبوريون دليلاً على أن الحي يذهب إلى قبر الميت؛ ليتعلم الحي من الميت أمور دينه، ويتوسل به، بل وصل الحد بأحد الدكاترة وهو أستاذ للعقيدة - عفا الله عنا وعنه - أن يقول في كتابه «هل من الشرك التوسل بالأنبياء والأولياء؟» ثم قال (ص١٠٤): «إن الخضر عليه السلام كان يذهب بعد صلاة الصبح ليسمع درس الفقه من الإمام أبي حنيفة النعمان، فلما مات الإمام أبو حنيفة دعا الخضر ربه أن يرد روح أبي حنيفة إلى قبره، ليسمع منه علوم الشريعة كما كان يسمعها منه في الدنيا، وأجاب الله دعوته، فكان يذهب كل يوم بعد صلاة الصبح إلى قبر الإمام أبي حنيفة فيسمع صوته من داخل القبر، ويتعلم منه علوم الشريعة، وظل على ذلك خمس عشرة سنة حتى أتم علوم الشريعة». اهـ.

قلت: وهنا أمران:

الأول: إيهام الناس باستمرار حياة الخضر بهذه القصة الباطلة التي هي من وضع الطرقية، ولقد بينت في التحذير السابق من هذه السلسلة عدم صحة القصص والأحاديث التي يُذكر فيها الخضر وحياته، وأنها كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد، كما هو مبيَّن في القاعدة الكلية التي أوردها الإمام ابن القيم في كتابه «المنار المنيف» رقم (١١)، والتي بيناها في الحلقة (١١٤): «إيهام الناس بحياة الخضر وإلياس».

الأمر الآخر: أن الدكتور استدل على هذه القصة الباطلة، أي قصة «ذهاب الخضر إلى قبر أبي حنيفة كل صباح خمس عشرة سنة ليتعلم منه علوم الشريعة»، بقصة أخرى باطلة هي موضوع تحقيقنا في هذا البحث؛ حيث قال الدكتور - عفا الله عنا وعنه - في كتابه هذا (ص١٠٤): «فإن المتأمل في سنة رسول الله ﷺ يجد فيها تأييداً لهذا، فقد روى الإمام الحافظ المنذري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ضرب خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى يختمها، فأتى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله، إني ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى يختمها، فقال رسول الله ﷺ: هي المانعة، هي المنجية تنجِّي صاحبها من عذاب القبر».

ثم يقول الدكتور ص (٢٦):

«إن في هذا الحديث إقرارًا من رسول الله ﷺ لما قصَّه عليه هذا الصحابي، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ سماع هذا الصوت...» كما في السطر (١٤).

قلت: الدكتور - عفا الله عنا وعنه - وهو أستاذ للعقيدة، بل كان رئيسًا لقسمها، كان من الواجب عليه قبل أن يجزم بإقرار رسول الله ﷺ لهذه القصة أن يخرِّجها ويحقِّقها؛ فلا بد من صحة الإسناد لصحة الاعتقاد.

ولقد عزا القصة للحافظ المنذري، وهذا العزو غير صحيح؛ لقول الدكتور: «روى الإمام الحافظ المنذري عن ابن عباس...» القصة، وعدم صحة العزو يرجع لأسباب:

١- كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري ليس مصدراً من مصادر الحديث الأصلية التي يُعْزَى إليها.

٢- فكما هو متفق عليه عند علماء هذا الفن أن مصادر الحديث الأصلية: «هي كتب السنة التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم

بأسانيد إلى النبي £ ».

٣- ومن أمثلتها:

الكتب الستة، وسنن الدارمي، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وغيرها، وكذلك الكتب المصنفة في الفنون الأخرى كالتفسير والفقه والتاريخ التي تستشهد بالأحاديث، لكن بشرط أن يرويها مصنِّفها بأسانيدها استقلالاً، أي لا يأخذها من مصنفات أخرى قبله، وهذه الكتب يصح العزو إليها في علم التخريج كتفسير الطبري، أما كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري فهو كتاب ينقل الأحاديث من الكتب الأصلية، فهو يعزو ولا يُعزَى إليه.

٤- لذلك نجد الإمام الحافظ المنذري عندما أورد هذه القصة أظهر الصناعة الحديثية التي غابت عن الكثير، وأنقل القصة بأمانة علمية من الترغيب والترهيب؛ حيث إن الدكتور عندما نقل القصة أسقط ألفاظًا هي من أصول الأئمة، بل هي من أصول التحقيق في علم الحديث درايةً في منهج الإمام الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، ومنهج الإمام الترمذي الذي أخرج هذه القصة، وعزاها إليه الحافظ المنذري، وإلى القارئ الكريم القصة كما أوردها الإمام المنذري بألفاظها، ثم المقارنة بينها وبين ما نقله الدكتور من الترغيب والترهيب، حتى يتبين له بالمقارنة ما سقط من ألفاظ وعلاقتها بمنهج الإمامين الترمذي والمنذري رحمهما الله تعالى.

أولاً: القصة كما أوردها الإمام المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢ / ٣٧٧).

ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب النبي £ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي £ فقال: يا رسول الله، ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي £ : «هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر». رواه الترمذي وقال: حديث غريب. اهـ.

ثانيًا: من مقارنة ما نقله الدكتور بما أورده الإمام المنذري نرى أن السقط تركز في أمرين، فقد سقط البدء وسقط أيضًا الانتهاء.

١- فقد بدأ الإمام المنذري القصة بعبارة مهمة جدًا عند علماء هذا الفن، وهي: «ورُوِيَ عن ابن عباس...».

بينما قال الدكتور: «رَوَى الإمام الحافظ المنذري عن ابن عباس...».

٢- ختم القصة الحافظ المنذري بالتخريج بعزو الحديث إلى من أخرجه فقال: «رواه الترمذي وقال: حديث غريب».

وهذا التخريج لم ينقله الدكتور - عفا الله عنا وعنه - بل أسقطه.

ثالثًا: أهمية هذه العبارات في مناهج المحدثين خاصة الإمامين المنذري والترمذي.

١- منهج الإمام المنذري في الترغيب والترهيب في بيان حال الأحاديث:

قال الإمام المنذري في مقدمة كتابه: «وقد أشبعنا الكلام على حال كثير من الأحاديث الواردة في هذا الكتاب:

أ- إذا كان إسناد الحديث صحيحًا أو حسنًا أو ما قاربهما؛ صدرته بلفظة: «عن».

ب- وإذا كان في الإسناد من قيل فيه كذَّاب، أو وَضَّاع، أو متهم، أو مجمع على تركه أو ضعفه أو ذاهب الحديث، أو هالك أو ساقط، أو ليس بشيء، أو ضعيف جدًا، أو ضعيف فقط، أو لم أر فيه توثيقًا بحيث لا يتطرق إليه احتمال التحسين صدرته بلفظ: «رُوِيَ». اهـ.

قلت: بتطبيق هذا المنهج على الخبر الذي جاءت به هذه القصة في «الترغيب والترهيب» (٢ / ٣٧٧) نجد أن الإمام المنذري صدَّر القصة بلفظ (رُوِي) حيث قال: «ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما ضرب بعض أصحاب النبي £ ...» القصة.

قُلْتُ: وهذا يدل على أن القصة غير صحيحة كما بينا آنفًا في منهج المنذري.

فقول الدكتور: «روى الإمام الحافظ المنذري»، خطأ، والصواب أن يقول: «أورده الإمام المنذري»، للأسباب التي بيناها آنفًا.

وقوله: «عن ابن عباس رضي الله عنهما»، وهذا تحريف لأن المنذري قال: «رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما»، ولم يقل: «عن ابن عباس رضي الله عنهما».

والفارق بين اللفظين كبير كما بينا آنفًا في منهج الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، فعبارة المنذري تدل على أن القصة غير صحيحة، وعبارة الدكتور قلب لمنهج المنذري.

٢- منهج الإمام الترمذي:

أ- لقد عزا الإمام المنذري هذه القصة إلى الإمام الترمذي فقال: «رواه الترمذي وقال: حديث غريب».

قلت: والدكتور لم يذكر هذه العبارة، وبالتالي لم يعلم أن الذي رواه هو الترمذي، فكتب رواه المنذري، وقد بينا آنفًا الفرق بين «رواه» و«أورده».

ب- وفي إسقاط الدكتور لكلمة: «غريب» التي نقلها الإمام المنذري عن الإمام الترمذي فَقْدٌ لمنهج الإمام الترمذي حول هذه اللفظة «غريب» مجردة أي: ليست مضافة لصفة أخرى، مثل «صحيح غريب» و«حسن غريب» و«حسن صحيح غريب»، فذكرها مجردة كما نقلها الإمام المنذري تدل على أن الخبر الذي جاءت به القصة ضعيف، ومن الغرائب، كما هو

منهج الترمذي.

ج- قلت: وبالبحث عما نقله الإمام المنذري عن الترمذي حول لفظة: غريب، في الأصل وهو سنن الترمذي تبين أن الإمام الترمذي في كتابه «السنن» (٥ / ١٥١ - شاكر) ح(٢٨٩٠) قال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

د- وبمراجعة هذه اللفظة في «تحفة الأحوذي» (٧ / ٣٠٩) (ح٢٨٩٠) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». اهـ.

رابعًا: قول الإمام الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لفظة: «غريب»، في هذه الجملة مضافة إلى صفة أخرى «حسن»، ومنهج الترمذي بالنسبة لهذه العبارة يدل على أن القصة حديثها غريب من هذا الوجه، وتعني أيضًا أن الحديث «حسن لذاته»، كما هو معلوم عند أهل الفن في بيان منهج الترمذي، ومعلوم عندهم أيضًا أنه متساهل في تحسينه وتصحيحه، فلا يغتر أحد بقول الترمذي عن هذا الحديث الذي جاءت به القصة: «حسن غريب»، فهذا تساهل من الإمام الترمذي كما سنبين، بل وإطلاق اسم الجامع الصحيح على كتاب الترمذي لا يدل على أن أحاديثه صحيحة مطلقًا؛ لأن فيه الصحيح والحسن والضعيف، بل وأشد أنواع الضعيف، وهو الموضوع.

ولنضرب مثالاً على ذلك: رُوِيَ عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء عليٌّ تدمع عيناه، فقال يا رسول الله، آخيت بين أصحابك، ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

الحكم: «حديث موضوع». أخرجه الترمذي (٥/ ٥٩٥) ح(٣٧٢٠)، وبيَّن علته الذهبي في «الميزان» (١/ ٤٢١)، وبين أنه موضوع في «الميزان» (٢ / ١٥٤)، وحسنه الترمذي بقوله: «وهذا حديث حسن غريب». قلت: وهو مردود. ومن هذا يتبين أن الترمذي متساهل في تحسينه، وإن كتابه يطلق عليه «جامع الترمذي» فقط، بدلاً من الجامع الصحيح، ولا يطلق اسم «الجامع الصحيح» في الجوامع إلا على «الجامع الصحيح للبخاري»، و«الجامع الصحيح لمسلم».

لذلك لا بد من تحقيق هذا الخبر، الذي جاءت به هذه القصة، والبحث فيه يتركز على أمرين:

الأول: بيان غرابة هذا الخبر، حتى يتبين أن القصة ليس لها متابع، ولا شاهد؛ وذلك لأن الخبر الذي جاءت به هذه القصة متنه يتكون من:

١- قصة الميت الذي يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك من داخل القبر، والصحابي يسمع.

٢- الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر». قلت: ولا بد أن يفرِّق الباحث بين القصة والحديث، فالقصة كما سنبين في تحقيقنا ليس لها متابع ولا شاهد، بينما الحديث له شاهد كما سنبين أيضًا.

الأمر الثاني: لا بد من تحقيق هذا الخبر الغريب، وبيان أقوال أئمة الجرح والتعديل؛ نظرًا لتساهل الإمام الترمذي -رحمه الله- في التحسين والتصحيح، واختلاف المخطوطات التي نقلت قول الإمام الترمذي عن هذا الخبر؛ حيث نقل الإمام المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢ / ٣٧٧): رواه الترمذي وقال: «حديث غريب».

ونقل المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٧ / ٣٠٩) ح(٢٨٩٠) ومحدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «سنن الترمذي» (٥ / ١٥١) ح(٢٨٩٠) قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وسنبين تحقيق هذا الخبر.

أ- بيان الأمر الأول: وهو غرابة الخبر الذي جاءت به القصة:

١- أخرج الإمام الترمذي في السنن (٥ / ١٥١- ط. شاكر) (ح٢٨٩٠) الخبر الذي جاءت به القصة؛ حيث قال: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قُلْتُ: هذا ما جاء في الأصل وهو «سنن الترمذي»، ولقد خرجت الخبر من أصله دون حذف للسند لنقف على بيان غرابته، وهي ظاهرة من قول الإمام الترمذي: «حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». اهـ.

٢- قلت: وتظهر هذه الغرابة أيضًا من تخريج هذا الخبر الذي جاءت به القصة؛ حيث أخرجه الإمام أبو نعيم في الحلية (٢ / ٨١) فقال: حدثنا عبد الله ابن محمد قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قال: حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر... القصة، ثم قال: «غريب من حديث أبي الجوزاء لم نكتبه مرفوعًا مجودًا إلا من حديث يحيى بن عمرو عن أبيه». اهـ.

٣- قلت: وأخرج الخبر الذي جاءت به القصة أيضًا الإمام ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٧ / ٢٠٥) (٥٤ / ٢١٠٧) قال: حدثنا علي بن سعيد الرازي، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك، عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر...» القصة. اهـ.

قلت: من هذا التخريج لخبر القصة يتبين أن هذا الخبر غريب كما بيَّن ذلك الإمام الترمذي، والإمام أبو نعيم؛ تفرد به يحيى بن عمرو بن مالك عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس.

ب- بيان الأمر الثاني وهو تحقيق هذا الخبر:

لقد أثبتنا من التخريج غرابة هذا الخبر، وتفرد يحيى بن عمرو بن مالك عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به.

فهذه القصة الواهية التي جاءت بهذا الخبر ليس لها متابعات؛ تامة، ولا قاصرة، من أجل هذا التفرد، ومن أجل الضعف الشديد، وهذا يتبين من قول أئمة الجرح والتعديل:

١- قال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٤٢٠ / ٢٠٤٦): «يحيى بن عمرو بن مالك النكري لا يُتَابع على حديثه».

وأورد من مناكيره عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، قال: «كان للنبي ﷺ كاتب يدعى السجل». اهـ.

قلت: انظر إلى هذا الكذب بنفس سند القصة.

٢- لذلك قال الإمام الذهبي في الميزان (٤ / ٣٩٩/ ٩٥٩٥): «يحيى بن عمرو بن مالك النكري البصري رماه حماد بن زيد بالكذب».

ثم قال: ومن مناكيره: عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر ولا يعرف أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ تبارك.. القصة، ثم قال: وضعَّفَهُ أبو داود وغيره.

٣- وقال الإمام ابن حبان في المجروحين (٤/ ١١٤): يحيى بن عمرو بن مالك النكري من أهل البصرة يروي عن أبيه عن أبي الجوزاء كان منكر الرواية عن أبيه، والواجب تنكُّب كل رواية يرويها عن أبيه؛ لما فيها من مخالفة الثقات، والوجود من الأشياء المعضلات؛ فيكون هو وأبوه جميعًا متروكين.

٤- لذلك أورده الإمام الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» برقم (٥٨٣)، وإثبات يحيى بن عمرو بن مالك النكري في هذا الكتاب يدل على أنه متروك كما هو مبين في مقدمته.

قلت: وهذا إجماع على ترك يحيى بن عمرو بن مالك النكري من الثلاثة.

٥- وضعفه يحيى بن معين، وأبو زرعة وأبو داود والنسائي والدولابي كذا في «التهذيب» (١١ / ٢٢٧)، ثم قال الحافظ ابن حجر: «وقال أحمد بن حنبل ليس بشيء، وقال الساجي: منكر الحديث». اهـ.

قلت: يُستنتج من هذا التحقيق أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة منكر، والقصة واهية، وهي من الغرائب، ولذلك ضعَّفها الإمام المنذري كما بينا آنفًا، وكذلك الإمام الذهبي وجعلها منكرة.

وكذلك ضعفها الشيخ الألباني -رحمه الله- في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١ / ٤٤٣) (ح٨٨٧).

وبهذا تصبح قصة الميت الذي يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، والصحابي يسمع، ويقرُّ ذلك النبي ﷺ قصةً واهيةً منكرة غير ثابتة.

تنبيه مهم:

لقد بينا أن الخبر الذي جاءت به القصة متنه يتكون من القصة الواهية التي لا متابع لها ولا شاهد، فهي منكرة غير ثابتة.

وتكون أيضًا من الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ حول سورة تبارك: «هي المانعة وهي المنجية تُنجيه من عذاب القبر». وهو ثابت لأن له شاهدًا أخرجه أبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» (ح٢٦٤) مرفوعًا من حديث ابن مسعود، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢ / ٤٩٨) موقوفًا، وهو في حكم المرفوع، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر».

ملحوظة مهمة:

١- قول الترمذي عقب هذا الخبر الذي جاءت به القصة: «وفي الباب عن أبي هريرة»، فيظن من لا دراية له بمنهج الترمذي في قوله: «وفي الباب» أن هذا شاهد للقصة، ولكن هيهات فهو شاهد للحديث فقط؛ حيث أخرجه الترمذي في «السنن» (٥ / ١٥١) (ح٢٨٩١) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له وهي سورة تبارك الذي بيده الملك».

وأخرج هذا الحديث أيضًا أبو داود وابن ماجه وأحمد وابن حبان والحاكم وابن السني والبيهقي في الشعب.

٢- ولقد أورد الشيخ الألباني رحمه الله الخبر الذي جاءت به هذه القصة في «ضعيف سنن الترمذي» (ح٥٤٦)، وفي «ضعيف الترغيب والترهيب» (ح٨٨٧)، وذلك لضعف القصة، وأوردها في «السلسلة الصحيحة» (ح١١٤٠) لصحة الحديث المقترن بالقصة، فمن لا دراية له يتهم الألباني رحمه الله بالتناقض، ولا تناقض في هذا.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.



تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

من أحكام الطلاق

يسأل سائل يقول:

ما حكم من طلق زوجته طلقة أولى، ثم ثانية، ثم ثالثة وهي لا تعلم، ثم عاشرها بعد الثالثة وهي لا تعلم بالطلقات الثلاث؟ وهل يجوز أن تعود الزوجة إلى منزل الزوجية بعد الطلاق الثاني دون عقد ومهر جديدين؟

الجواب: من طلق زوجته ثلاثاً فقد بانت منه بينونة كبرى، ولا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره، نكاح رغبة، لا يُقصد به التحليل للأول؛ لقول النبي ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟» قالوا: بلى يا رسول الله من هو؟ قال: «المحلِّل، لعن الله المحلَّل والمحلَّل له» [أبو داود ٢٠٧٦، وحسنه الألباني]. والمُحَلَّل له: من طلق امرأته ثلاثًا ثم استعار لها رجلاً يتزوجها ثم يطلقها.

وهذا النكاح نكاح فاسد فقد لعن النبي، - ﷺ -، المحلل والمحلل له، وسمى المحلل التيس المستعار [أبو داود ٢٠٧٦، وحسنه الألباني]؛ لأنه كالتيس يستعيره صاحب الغنم لمدة معينة ثم يرده إلى مالكه، هذا الرجل كالتيس طُلِبَ منه الزواج بهذه المرأة ثم مفارقتها. وهو نكاح محرم ولا يفيد حلّها للزوج الأول؛ لأنه غير صحيح.

ولا يتوقف الطلاق على حضور الزوجة، ولا على سماعها، ولا على علمها، بل ينفذ الطلاق بالتوكيل، والاتصال الهاتفي، أو بالكتابة، أو غير ذلك مما يدل على حدوث الطلاق.

أما إرجاع الزوجة بعد الطلقة الأولى أو الثانية إذا لم تنته عدتها فلا يحتاج إلى عقد ولا مهر ولا ولي، وإن انتهت العدة فهو خاطب من الخُطّاب، وإن وافقت عليه هي ووليها لزمه مهر جديد وعقد جديد. وإن لم يوافقا عليه فلا علاقة له بها، وهي أجنبية عنه.

ومعاشرة الزوجة بعد الطلقة الثالثة لا تحل، بل هي زنى محض من الزوج -والعياذ بالله-؛ فإن كانت الزوجة تعلم بها فهي أيضًا زانية. وإن لم تعلم فهي معذورة ولا إثم عليها، والإثم على الزوج وحده لأنه زانٍ وغاشّ. والله أعلم.

زكاة المال المودع في البنك

يسأل محمد محمود حسن يقول:

هل يجوز دفع زكاة عن المال المودع بالبنك ؟

والجواب: الزكاة فريضة، وركن من أركان الإسلام الخمسة، تجب في مال المسلم متى بلغ النصاب المقرر شرعًا وحال عليه الحول، وكان خاليًا من الدَّيْن، فاضلاً عن حوائج المزكي الأصلية وحاجة من تلزمه نفقته، والنصاب الشرعي هو ما قيمته ٨٥ جرامًا من الذهب عيار ٢١ بالسعر السائد وقت إخراج الزكاة. وعلى ذلك فإنه يجب على السائل أن يخرج الزكاة عن رأس المال جميعه، ولا زكاة على العائد ما دام أنه يصرفه أولاً بأول في نفقات حياته، وتكون الزكاة على السنتين اللتين لم يزك فيهما حتى تبرأ ذمته أمام الله تعالى، وقيمة الزكاة ربع العشر أي على كل ألف جنيه ٢٥ جنيهًا.

الزكاة للوالدين والأولاد

يسأل محمد محمد العالم إمام وخطيب مسجد مراد - بسيون غربية يقول:

هل يجوز للمسلم أن يُخرج زكاة أمواله لأولاده الفقراء، وكذلك لوالديه؟

والجواب: أجمع أهل العلم على أن الزكاة لا يجوز دفعها إلى الوالدين في الحال التي يجبر فيها الدافع إليهم على الإنفاق عليهم؛ لأنه إذا وجبت النفقة عليه يكون دفع الزكاة إليهم إغناء لهم عن النفقة فيعود النفع إليه، فكأنه دفعها إلى نفسه، فلم تجز، كما لو قضى بها دينه؛ ولأن مال الولد مال لوالديه لحديث أنت ومالك لأبيك [أبو داود ٣٠٣٥، وصححه الألباني]، وكذلك لا يجوز دفع الزكاة للأولاد؛ لأنهم جزء الأب، والدفع منه إليهم يكون كالدفع لنفسه، وكذا الزوجة لا يجوز دفع الزكاة إليها؛ لأن نفقتها واجبة عليه وما يدفع للأخ أو الأخت يجوز أن يكون من الزكاة إليه إذا كانت نفقتهما لا تلزم الدافع شرعًا؛ إذ إن من وجبت نفقته على قريبه لم يجز دفع زكاته إليه عند أكثر العلماء.

وقد قرر أهل العلم أن نفقة الابن غير المستغني بكسبه لعجزٍ أو مرض أو نحوهما واجبة على أبيه الغني، وإلى ذلك ذهب الأئمة الأربعة؛ لقوله £ في الحديث «وابدأ بمن تعول» [البخاري ٥٣٥٦، ومسلم ١٠٣٤]. والله تعالى أعلم.

تكرار عقد الزواج

ويسأل إبراهيم رجب اللاوندي من كوم حماده - بحيرة. يقول:

هل يجوز للرجل المسلم أن يتزوج من المرأة نفسها مرتين، أي أن يعقد عليها عقدًا شرعيًا مرة في بيت العروس بين أهلها ومرة في المسجد تسمى إشهارًا؟

الجواب: القاعدة الأصلية أنَّ العقد إذا جُدِّد وأعيد فالثاني باطل. فالبيع بعد البيع، والصلح بعد الصلح، والحوالة بعد الحوالة كل ذلك باطل، إلا أن بعض صور البيع والإجارة خارجٌ عن هذه القاعدة، فإذا عقد البيع أولاً ثم عقد ثانياً على مثل ثمن الأول جنسًا ووصفًا وقدرًا فالعقد الثاني غير معتبر، ويبقى العقد الأول على حاله؛ لأنه لا يوجد فائدة في العقد الثاني. وشرط صحة العقد أن تترتب عليه فائدة، وما دام العقد الأول قد وقع صحيحًا فلا داعيَ لتكراره - وإن كان تكراره لا يؤثر على صحة العقد الأول، ولا على ما اشترط فيه - والعقد الأول هو المعتبر.

فإن كان ثَمَّة حاجة للتكرار المذكور: فعلى الوليّ والزوج أن يوثقا العقد من غير أن يُكَرِّرا الصيغة - الإيجاب والقبول - مرة أخرى عند الموثق، فإن كرَّراها فلا ضرر فيه.

زرع الأسنان

يسأل سعيد إسماعيل سالم - الإسكندرية - فيكتوريا - مسجد الفتح - يقول:

ما حكم زرع الأسنان لضبط قراءة القرآن لأنني أصلي بالناس؟

الجواب: لا حرج في زرع الأسنان للضرورة، والحاجة المعتبرة شرعًا كمن سقطت سنه أو تلفت، وهو يحتاج إلى بدلها لمضغ الطعام أو تقويم الكلام ونحوه. والدليل هو ما ثبت عن عرفجة بن أسعد رضي الله عنه قال: أصيب أنفي يوم الكُلاَب في الجاهلية -والكُلاَب: ماءٌ بَيْنَ الكُوفَة والبَصْرة- فاتخذت أنفًا من وَرِقٍ فأنتن عليَّ، فأمرني رسول الله £ أن أتخذ أنفًا من ذهب. [رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي ٥١٧٦].

فأمره £ لعرفجة باتخاذ أنفٍ بدل أنفه الأصلي دليل على جواز تركيب الأسنان. وإذا مات من ركب أسنانًا أو أنفًا، فالمشروع تركهما ودفنه بهما إذا لم تكن ذات قيمة، وأما ما كان له قيمة فإنه يؤخذ، إلا إذا كان يخشى منه المُثلة كتمزيق لثة الميت أو لحمه.

أسماء القرآن وصفاته

يسأل المهندس/ محمد نور الدين عبد الله – سوهاج – طما.

يقول: ما الفرق بين أسماء القرآن الكريم وصفاته؟

والجواب: اعلم أنّ كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمَّى وكماله، ولذلك فإن كثرة أسماء الله تعالى دلَّت على كماله وجلال عظمته؛ وكثرة أسماء النبي £ دَلَّت على علوّ رتبته، وسموِّ درجته. وكذلك كثرة أسماء القرآن دلَّت على شرفه، وفضيلته.

غير أن بعضهم بالغ في تعداد ألقاب القرآن، حتى ذكر منها الزركشي خمسة وخمسين نقلاً عن غيره، ولا ريب أنه خلط فيها بين التسمية والوصف، فمن أسماء القرآن مثلاً «العليّ» لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، ومنها «المجيد» لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾، ومنها «العزيز» لقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾، ومنها العربي، لقوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، وقد بلغ بعض العلماء بأسماء القرآن نيفًا وتسعين.

– وفي البرهان في علوم القرآن (ج ١ / ص ٢٧٣):

وقد صنف في ذلك الحرالي جزءًا، وأنهى أساميه إلى نيف وتسعين، وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك رحمه الله: اعلم أن الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا:

سماه كتابًا فقال: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

وسماه قرآنًا فقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾.

وسماه كلامًا فقال: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾.

وسماه نورًا فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾.

وسماه هدى فقال: ﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

وسماه رحمة فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾.

وسماه فرقانًا فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾.

وسماه شفاء فقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾.

وسماه موعظة فقال: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

ومن العلماء من فَرَّق بين الاسم والصفة، فذكر خمسة أسماء وهي: الكتاب، وكلام الله، والفرقان، والذِّكر، والمصحف.

وذكر من نعوته الكثير؛ مثل: هدى، وشفاء، ورحمة، وموعظة، وأحسن الحديث،.. إلخ. والله أعلم.

الأحق بالصلاة على الجنازة

يسأل سائل فيقول: عند الصلاة على بعض الجنائز أرى كثيرًا أن قريب الميت يتقدم ليصلي عليه، وأحيانًا يكون غير ملتزم بالسنة الظاهرة، ويُتوقع ألا يُحسن الصلاة على الميت، لكنه يتقدم للصلاة بحكم قرابته، في الوقت الذي يوجد فيه إمام المسجد؟ فما الصواب في ذلك؟

الجواب: الأحق بالإمامة في الصلاة على الميت: الوصي الذي أوصى الميت بأن يصلي عليه، ثم الوالي أو نائبه، ومثل نائب الوالي إمام المسجد الراتب، فعن أبي حازم قال: إني لَشاهد يوم مات الحسن بن علي، فرأيت الحسين بن علي يقول لسعيد بن العاص ويطعن في عنقه: تقدَّم؛ فلولا أنها سُنة ما قدمتك، وكان بينهم شيء. [الحاكم (٤٧٩٩) وصححه، ووافقه الذهبي].

واستبعد الشيخ ابن باز رحمه الله صلاة الوصي والولي، وقال: إمام المسجد أولى بالصلاة على الجنازة من الشخص الموصَى له؛ لقول النبي £ : «لا يؤمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه». [مسلم ١٥٦٤].وإمام المسجد هو صاحب السلطان في مسجده. [مجموع فتاوى ابن باز].

والمشهور من مذهب الشافعية وابن حزم أن الأحق بالإمامة على الجنازة أقرباء الميت؛ مستدلين بقول الله تعالى: ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، والقول الأول أرجح؛ لأن الآية مطلقة، والأول مقيد، فينبغي أن يُحمل المطلق على المقيد.



أسباب الغفلة

إعداد/ محمد رزق ساطور

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد سبق أن قلنا: إن للغفلة أسبابًا، منها: أولاً: الجهل بالله عز وجل وأسمائه وصفاته. ثانيًا: الاغترار بالدنيا والانغماس في شهواتها. ثالثًا: صحبة السوء.

رابعًا: الانصراف عن ذكر الله.

خامسًا: الإعراض عن النصيحة.

سادسًا: التسويف والتمني.

سابعًا: الانغماس في الشهوات وفي الشبهات.

ونكمل بقية أسباب الغفلة؛ فنقول وبالله التوفيق:

ثامنًا: نسيان الموت والآخرة والمصير

مع أن الناس يودِّعون في كل يوم الأهل والأحباب والخلان والأصحاب إلا أنهم ينسون، أو يتناسون الموت والقبر، والبعث والنشور، والآخرة والمصير الذي ينتظرهم، ومن ثَم ينشغلون باللهو واللعب، يقول الله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]، ويقول جل شأنه: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣].

وكيف ينسى العبد الموت وهو أقرب إليه من شراك نعله؟، كيف ينسى الموت وما هو إلا نَفَس يخرج ثم لا يعود؟، كيف ينسى الموت والأجل محتوم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

إن نسيان الموت يؤدي إلى الغفلة التي تؤدي إلى التعلق والانهماك في لذات الدنيا وشواغلها، وتسويف التوبة، والتكاسل عن الطاعات، ولذا قيل: مَن أكثر ذكر الموت أكرمه الله بثلاث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي ذكر الموت ابتُلي بثلاث: تسويف التوبة، وترك الرضا، والتكاسل عن العبادة.

ولأن نسيان الموت يؤدي إلى نسيان الاستعداد لما بعد الموت، فيُبتلى بنسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله، وعذابه ونعيمه، ووضع الموازين، ونشر الدواوين، والمرور على الصراط، ونسيان النار وما أعد الله فيها لأصحاب القلوب القاسية، وهذا الذي يبعده عن أن ينتفع بالموت، والله تعالى يقول ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، ويقول سبحانه ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

تاسعًا: البدع والأهواء

وهذا حال أهل الجهل وأهل البدع والأهواء الذين يظنون أنهم على هدًى وعلم؛ فإذا انكشفت الحقائق تبين لهم أنهم لم يكونوا على شيء، وأن

عقائده

م وأعمالهم التي ترتبت عليها كانت كسراب يُرى في أعين الناظرين ماء، ولا حقيقة له:

إن سموم البدع والأهواء والضلالات الواقعة في القلب مهلكة هلاكًا يحول بين العبد وربه، ومن ثَم يتحول إلى الغفلة المطبقة التي لا يفيق منها إلا على الدمار المحقق إلا أن يشاء الله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ £ ، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ» [أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١ / ٢٠٧ رقم ٦٦٤)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير معلل بن نفيل وهو ثقة].

وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ عَنْ النَّبِيِّ £ قَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلاَّتِ الْفِتَنِ». [رواه أحمد (١٩٢٧٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١ / ١٢ رقم ٥٢).].

فهم الصادّون عن سنة رسول الله £ ، الداعون إلى ما يخالفها، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، فيجعلون السنة بدعة، والبدعة سنة، والمنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، وهم الذين قال الله عنهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

وفي مسند ابن الجعد وغيره قال سفيان الثوري: «البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية؛ المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها».

وفي اعتقاد أهل السنة للالكائي: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا

من كتاب الله. قال: لا. قال، تقومان عني وإلا قمت، فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرأ آية؟ قال: إني كرهت أن يقرأ آية فيحرفانها، فيقر ذلك في قلبي».

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ، أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ؛ فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ». [أخرجه الدرامي ١٤٣].

ولا تزال البدع والأهواء بأصحابها حتى توقعهم في المهالك، وتوردهم المعاطب، وتلقي بهم في أودية الشبهات والشهوات، فتراهم بدَّلوا الحق إلى الباطل، والتوحيد إلى الشرك، فنصبوا القباب والأضرحة، وراحوا يتقربون إليها بأصناف من العبادات يتمسحون بها، ويتعبدون عندها، ويطلبون منها ما لا يُطلب إلا من الله تعالى، وأقاموا الموالد التي يتفشى فيها الشرك بكل أنواعه، من اعتقاد النفع والضر في المقبور، وسؤاله والتعلق به، إلى الاستغاثة والرجاء، والاستعانة وطلب الشفاء، والنذر والذبح والطواف، إلى غير ذلك من العبادات التي لا تصلح إلا لله رب العالمين.

وإذا أنكر عليهم منكر اتهموه بجملة من التُّهَم أعدوها بليلٍ؛ ليصموا بها أهل التوحيد، وهذا من ضلالهم وغيّهم وافترائهم على دين الله رب العالمين، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وترى فريقًا منهم قد لجأ إلى السحر والدجل، والشعوذة والأحجبة، والتمائم، ونشر الوهم والباطل مقابل دراهم معدودة وأباطيل قد حبكوا إفكها، وأشاعوا زورًا أن فلانًا مكشوف عنه الحجاب، وهذا يدري المخبوء خلف الباب وتحت الأعتاب، وهذا تؤخذ منه النفحات والبركات. وهذا ضلال قديم وبهتان عظيم.

وترى فريقًا آخر من أهل الأهواء بدَّلوا شريعة الله المحكمة إلى قوانين باطلة، وشرائع زائغة؛ فبدَّلوا نصوص الشريعة بالأعراف والعادات والأحوال بدون قيود أو ضوابط، مما أفضى إلى تبديل الشريعة ونسخها؛ لأن أهل الأهواء والبدع لن يتورعوا عن تبديل النصوص القطعية بالعرف؛ ليتوصلوا بذلك إلى إسقاط الواجبات، واستحلال المحرمات، وترك التحاكم إليها، وإحلال القوانين الوضعية الباطلة محلها، بزعم أنها لا تصلح في

> لا تزال البدع والأهوا بأصحابها حتى توقعهم في المهالك، وتوردهم المعاطب، وتلقي بهم في أودية الشبهات والشهوات، فتراهم بدَّلوا الحق إلى الباطل

زمانـنـا، ومـا شـابـه ذلك من الـردود الـبـالـيـة السقـيـمـة، تـعـالـى الـلـه عمـا يـقـول الظـالمـون عـلـوًا كبيرًا.

وترى فريقًا منهم بعد ما علموا الحق وعملوا به دخلت علـيـهـم الأهـواء والمصالح والأغراض؛ فحوَّلتهم عن الحق الذي تـعلـمـوه وعلَّـمـوه إلى التفرق والتحزب والتعصب والعمى، فلا يؤاخي إلا من كان على هواه، سواء كان يعمل بالحق أو لا يعمل به، فالعمدة في محبته وولائه موافقته في مذهبه وإن كان باطلاً، ثم يرقع بعض الشبهات ويتخذها دينًا يوالي عليه ويعادي، ويصدق عليه قول القائل:

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

ويوزع الأحكام على خلق الله بلا روية ولا باعث إلا من هواه، فهو في كل يوم يبتعد عن دينه، ويزداد قربًا من الضلال، حتى يصير من أئمة الضلال، وهو يحسب أنه من المهتدين، وكذلك الذين يتخذون الدين ستارًا للكسب المادي والثراء الفاحش فيأكلون من حرام، ولا يسأل الواحد نفسه عن كسبه أهو من الحلال أو الحرام، ألا ساء ما يزرون وصدق الله ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤-٥].

إنهم في غفلة لا يفيقون منها -إلا أن يشاء الله- إلا على تحسرهم ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥١-٥٢].

فالناس فريقان: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

عاشرًا: نسبة النعمة إلى غير المنعم بها

المتفضل بالنّعمة على الحقيقة هو الله جل وعلا، قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وهذا الصنف من الناس ينسبُ النّعمة إلى غير مُوردها والمنعم بها، فتراه ينسبها إلى نفسه، ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨]، فيقول هذا بسبب جدّي واجتهادي وكفاءتي وصبري وكفاحي وعلمي.

أو ينسبها إلى أسبابها، وينسَى مسبِّبها وربَّها، فعن زَيْد بن خَالد الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قال: صلى لَنَا رسول اللَّه ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ على إِثْرِ سَمَاءٍ كانت من اللَّيْلَةِ، فلما انْصَرَفَ أَقْبَلَ على الناس؛ فقال: هل تَدْرُونَ مَاذَا قال رَبُّكُمْ؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «أَصْبَحَ من عِبَادِي مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، فَأَمَّا من قال: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا من قال بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» [البخاري ٨٤٦، ومسلم ٧١]. وكما قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

والأسبابُ لا يُنكر أثرُها ولا الأخذُ بها، ولكنّ الذي يُنكَر الغفلةُ عن الله سبحانه وتعالى.

ومنها أيضًا قول قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، ولولا قوة الفرامل لمات الركاب، ونحو هذا؛ فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان ووقايته منسوبة إلى الكلب، وحفظه منسوبًا لقوة الفرامل، وهذا من الشرك بالله، بل ينبغي أن ينسب الفضل لصاحبه، وهو الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الخندق يحفر معنا حتى رأيت التراب قد وارى بياض بطنه، أو قال شعره، وهو يقول: «والله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا» [البخاري: ٢٨٣٧، ومسلم ١٨٠٣].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، فمن تعوَّد أن ينسب الفضل لغير الله تعالى عاش في غفلة عن ربه فلم يشكر له نعمة، ولم يشعر بفضله سبحانه، بل ربما ينسب الفضل للبدوي والرفاعي والدسوقي، وغيرهم ممن أطلق عليهم المدركون بالكون، الذين يديرون الكون، ويدبرون أمره كما يزعمون، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

> بعض أهل الأهواء دخلت عليهم المصالح والأغراض؛ فحوَّلتهم عن الحق الذي تعلموه وعلَّموه إلى التفرق والتحزب والتعصب والعمى، فلا يؤاخي إلا من كان على هواه، سواء كان يعمل بالحق أو لا يعمل به

حادي عشر: عدم الحرص على طلب العلم

العبد في أمسّ الحاجة إلى التعلم؛ ليرفع من شأنه، ولكي

يحسن التعبد لربه، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، ويقول سبحانه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وفي محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: قيل لأبي شروان: أيحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كانت الجهالة تقبح منه فالتعلم يحسن به، فقيل: وإلى متى يحسن منه؟ فقال: ما حسنت به الحياة.

وقيل لحكيم: ما حدّ التعلم؟ فقال: حد الحياة، أي يجب له أن يتعلم ما دام حيًا.

وقال شيخ للمأمون: أقبيح بي أن أستفهم؟ فقال: بل قبيح بك أن تستبهم!.

والعلم في الأصل أفضل من الجهل، وكل الناس يحبون الانتماء والانتساب إلى العلم، ويهربون ويربأون بأنفسهم أن يُنسبوا إلى الجهل، وهناك تفاوت في العلوم، فأهم العلوم هو العلم الذي يفقه به العبد دينه، فيعرف به كيف يعبد ربه؛ بل يعرف به ربه، ويعرف دينه، فهذا هو أشرف وأفضل العلوم، فمن أهمل هذا الجانب من العلم تقلب في الجهل والضلال المبين، وحرم نفسه من الجلوس بين يدي أهل العلم لنيل شرف التعلم مع الفهم، ورحم الله من قال:

من يأخذ العلم من شيخ مشافهة
يكن عن الزيغ والتصحيف في حرم
ومن يكن آخذًا للعلم من صحف
فعلمه عند أهل العلم كالعدم

ولذلك قيل: لا تأخذ العلم من صُحُفِيٍّ، ولا القرآن من مصحفي، يعني: لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف، ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف والكتب دون شيخ يعلّمه.

فمن حرم نفسه من العلم، ومن الجلوس بين يدي أهل العلم، عاش في غفلة وظلمة حتى إذا أخرج يده لم يكد يراها، كما قال جل شأنه ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

ثاني عشر: عدم التدبر والتفكر في آيات الله الكونية

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، وقال جل شأنه: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢-١٣].

فالتفكر في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت، وسيارات وأفلاك دائرات، وما في الأرض من قطع متجاورات، وحدائق وجنات، وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، سببٌ من أسباب تقوية الإيمان وزيادة العلم وكثرة الأجر، أما عدم التدبر في آيات الله المنظورة والمتلوة فإنها ترمي العبد في ظلمات الغفلة وغيّها، مما يطمس على العبد ويبعده عن الحق المبين، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

> التفكر في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت، وسيارات وأفلاك دائرات، وما في الأرض من قطع متجاورات، وحدائق وجنات، وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، سببٌ من أسباب تقوية الإيمان وزيادة العلم وكثرة الأجر

هذا ما تيسر في أسباب الغفلة التي تؤدي إليها، ثم نذكر بعد ذلك إن شاء الله تعالى علاج مرض الغفلة بعد ما شخّصنا الداء.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

سنة اتخاذ مساجد في البيوت

إعداد/ أيمن دياب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فيا أيها القارئ الكريم في هذا العدد سنتكلم عن سنة من السنن المهجورة ألا وهي سنة اتخاذ مساجد البيوت، فإن البيوت من أكبر النعم الإلهية، والعطايا الربانية التي امتن بها على البشرية، تسكنُ إليها نفوسهم، وتطمئنُّ إليها قلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ [النحل:٨٠].

وإن من شكر هذه النعمة الكبرى أن يُطاع الله فيها ولا يُعصى، ويُذكرَ ولا يُنسى، كما هو حال أسلافنا، لما كانت الآخرةُ أكبرَ همّهم، وأكثرَ ما يَشْغَلُ بالهم، اتخذوا في بيوتهم المتواضعة غرفًا خاصة للسنن والنوافل، يبيتون فيها لربهم سُجدًا وقيامًا، يرجون رحمته ويخافون عذابه! [من مقدمة مساجد البيوت].

لذا حفلت دواوين السنة النبوية ببيان أحكام مساجد البيوت، هذه السنة المهجورة! إليكم بعضها:

أولاً: تعريفها:

مسجد البيت: هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي عَيَّنَهُ صَاحِبُ الْبَيْتِ لِصَلَاةِ السُّنَنِ وَالنَّوَافِلِ، وقراءة القرآن وذكر الله، وغير ذلك من وجوه الطاعات وأنواع القربات [انظر: بدائع الصنائع (٥ / ١٢٦).].

ثانيًا: مشروعيتها:

أدلة مشروعية اتخاذ مسجد في البيت كثيرة في الكتاب والسنة وأفعال سلف الأمة الصالح رضي الله عنهم، ذكرها أهلُ العلم في مصنفات الفقه وتواليف السنة.

١- في الكتاب: قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٨٧].

قال مجاهد-رحمه الله-: «خاف موسى (ومَنْ معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، فأُمروا بأن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة، يصلون فيها سرًا». [تفسير البغوي (٦٠٧)].

وقال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: «وكأن هذا - والله أعلم- لما اشتد بهم البلاء من قِبَل فرعون وقومه، وضيِّقوا عليهم، أُمروا بكثرة الصلاة، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: ١٥٦]. وفي الحديث: «كَانَ النَّبِيُّ £ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى». [أبو داود ١٣١٩، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٣).]، ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: بالثواب والنصر القريب] «تفسير ابن كثير (٢ / ٥٨٠)].

٢- في السنة: عَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ: «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ £ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ» [أبو داود (٤٥٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٧٩].

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ £ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ £ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ £ : «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ £ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ رضي الله عنه فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ

قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟».
قَالَ: فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ» [البخاري ٤٢٤، ومسلم ٣٣].

٣- عند السلف الصالح: كان السلف الصالح رضي الله عنهم قمةً سامقةً في العبادة، والإقبال على الله، لهذا اتخذوا المساجد في بيوتهم، تعينهم على التقرب إلى الله زلفى، ومن ذلك:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عز وجل غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَإِنَّ اللَّهَ عز وجل شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وَمَا مِنْكُمْ إِلَّا وَلَهُ مَسْجِدٌ فِي بَيْتِهِ، وَلَوْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومٌ نِفَاقُهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» [أخرجه أحمد ٣٩٢٦ واللفظ له، ومسلم ٦٥٤].

ثالثًا: هيئتها:

لمساجد البيوت صورتان:

الأولى: غرفة خاصة في البيت: لحديث أُمِّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ! قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي! وَصَلَاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي!
قَالَ: فَأَمَرَتْ فَبُنِيَ لَهَا مَسْجِدٌ فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ! فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيَتْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ». [أحمد ٢٦٥٥٠، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣٤٠].

الثانية: موضع خاص في ناحية من غرفة من غرف البيت: إذا لم يتيسر للمسلم أن يتخذ من غرف بيته غرفةً خاصةً بالصلاة والنوافل، فلا بأس أن يحدد لذلك الغرض ناحية أو زاوية من غرفة مناسبة؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ أَرْسَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَعَالَ فَخُطَّ لِي مَسْجِدًا فِي دَارِي أُصَلِّي فِيهِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا عَمِيَ فَجَاءَ فَفَعَلَ» [رواه ابن ماجه (٧٥٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١ / ٢٤٩)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «صَنَعَ بَعْضُ عُمُومَتِي لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْكُلَ فِي بَيْتِي وَتُصَلِّيَ فِيهِ، قَالَ: فَأَتَاهُ وَفِي الْبَيْتِ فَحْلٌ مِنْ هَذِهِ الْفُحُولِ - الحصير الذي اسود من طول الاستعمال- فَأَمَرَ بِنَاحِيَةٍ مِنْهُ، فَكُنِسَ وَرُشَّ فَصَلَّى وَصَلَّيْنَا مَعَهُ» [رواه ابن ماجه (٧٥٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١ / ٢٤٩)].

رابعًا: فضلها:

المساجد في البيوت من أكبر الوسائل المحفِّزة على فعل الخيرات، وترك المنكرات، والمذكِّرة بعمل القربات من التطوع بالرواتب والنوافل والسنن والأذكار وقراءة القرآن.

مساجد البيوت حياة:

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» [البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩].

خير وبركة:

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا» [مسلم ٧٧٨].

تُكثِّر الحسنات:

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بُيُوتِكُمْ؛ فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ» [البخاري ٦١١٣، ومسلم ٧٨١ واللفظ له].

تزيد في الدرجات:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةُ فِي بَيْتِي أَوْ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ؟ قَالَ: «أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ، فَلَأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً» [ابن ماجه ١٣٧٨، وصححه الألباني].

لا تجعل البيوت قبورًا:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا» [البخاري ٤٣٢، ومسلم ٧٧٧].

خامسًا: حكم مساجد البيوت:

من الأدلة السابقة وغيرها مما سيأتي يتضح حكم الندب والاستحباب للرجال والنساء جميعًا أن يتخذوا المساجد في الشقق والبيوت.

جاء في حاشية ابن عابدين (١ / ٦٥٧): «مَسْجِدُ الْبَيْتِ: أَيْ مَوْضِعٌ أُعِدَّ لِلسُّنَنِ وَالنَّوَافِلِ، بِأَنْ يُتَّخَذَ لَهُ مِحْرَابٌ وَيُنَظَّفَ وَيُطَيَّبَ، كَمَا أَمَرَ بِهِ ﷺ فَهَذَا مَنْدُوبٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

وجاء في موضع آخر (٢ / ٤٤١): «وَمُقْتَضَاهُ أَنَّهُ يُنْدَبُ لِلرَّجُلِ أَيْضًا أَنْ يُخَصِّصَ مَوْضِعًا مِنْ بَيْتِهِ لِصَلَاتِهِ النَّافِلَةِ، أَمَّا الْفَرِيضَةُ وَالِاعْتِكَافُ فَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا لَا يَخْفَى».

وللحديث بقية في العدد القادم بمشيئة الله تعالى.

الشيعة النصيرية
وجذورها التاريخية

الحلقة الأولى

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فإن الشيعة النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري، ويُعد أصحابها من غلاة الشيعة؛ حيث زعموا أن الإله قد حلَّ في علي بن أبي طالب، وأطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا العلويين؛ تغطيةً لحقيقتهم، وتمويهًا على كفرهم، ويمكن إجمال عقائد تلك الفرقة الرافضية الباطنية الخبيثة فيما يلي:

١- اعتقادهم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الإله، وظهوره الجسماني إنما كان كظهور جبريل عليه السلام في صورة بشرية، وقد ظهر في صورته الناسوتية لإيناس خلقه وعبيده.

٢- تعظيمهم لعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه؛ ذلك لأنه خلَّص اللاهوت من الناسوت؛ أي الصورة الإلهية من الصورة الإنسانية.

٣- اعتقاد بعض الشيعة النصيرية أن عليّاً رضي الله عنه يسكن السحاب بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيِّده، ولذا فإنهم إذا مر بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن. ويعتقدون أن الرعد صوته.

٤- يعتقد النصيريون أن علياً رضي الله عنه هو الذي خلق النبي £ ، وأن محمداً £ هو الذي خلق سلمان الفارسي، وأن سلمان خلق الأيتام الخمسة وهم:

أ- المقدام بن الأسود، وهو الموكل بالرعود عندهم.

ب- أبو ذر الغفاري، وهو الموكل بدوران الكواكب والنجوم.

جـ- عبد الله بن رواحة، الموكل بالرياح، وقبض أرواح البشر.

د- عثمان بن مظعون الموكل بالمعدة وحرارة الجسم وأمراض الإنسان.

هـ- قنبر بن كادان الموكل بنفخ الأرواح في الأجساد.

٥- يعتقدون حل الخمر، ويعظِّمون شجرة العنب، ويحرمون قطعها وقلعها؛ لأنها أصل الخمر التي هي النور عندهم.

٦- صلاتهم تختلف في عدد ركعاتها عن صلاة المسلمين، فضلاً عن أنه ليس فيها سجود، وأول أوقات الصلاة عندهم هي صلاة الظهر، وتتألف من ثماني ركعات، ثم صلاة العصر وتتألف من أربع ركعات، ثم المغرب وتتألف من خمس ركعات، والعشاء وتتألف من أربع ركعات، فالفجر الذي يتألف من ركعتين، والصلوات الخمس كما ورد في

﴿ الشيعة النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري، ويُعد أصحابها من غلاة الشيعة؛ وزعموا أن الإله قد حلّ في علي بن أبي طالب، وأطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا العلويين؛ تغطية لحقيقتهم، وتمويهًا على كفرهم ﴾

كتاب «الباكورة السليمانية» الذي صنفه سليمان الأخنى النصيري كالتالي:

- الظهر لمحمد، والعصر لفاطمة، أو فاطم - يقصدون فاطمة رضي الله عنها- والمغرب للحسن، والعشاء للحسين، والصبح لمحسن الخفي- وهو السقط الذي طرحته فاطمة وهو السر الخفي عندهم، كما أنهم لا يصلون الجمعة، ولا يتمسكون بالطهارة، كالوضوء ورفع الجنابة، ويصلون في بيوتهم، ولهم قداسات مصحوبة بتلاوة الخرافات كالنصارى.

٧- والحج عند النصيرية كفر وعبادة للأصنام؛ ولذا فهم لا يحجون، ولا يعترفون بزكاةٍ، وإنما يؤدون الخُمس إلى شيوخهم كضريبة، وهم بذلك يشاركون باقي فرق الشيعة في تلك العبادة، أما الصيام عندهم فهو الامتناع عن النساء طوال شهر رمضان.

٨- ويعتقدون أن للشريعة باطنًا وظاهرًا، وهم وحدهم دون غيرهم العالمون بباطن الأسرار، ولذا فشهادة التوحيد عندهم «ع م س»، ويقصدون بحرف العين عليًا رضي الله عنه، الذي خلق محمدًا ﷺ . وحرف الميم محمدًا الذي خلق سلمان الفارسي، والسين سلمان خالق الأيتام الخمسة.

والجهاد عندهم هو صبّ اللعنات على الأعداء والخصوم فشاة الأسرار.

والزكاة يُقصد بها شخصية سلمان الفارسي خالق الأيتام الخمسة.

والولاية هي الإخلاص للأسرة الشيعية النصيرية، وكراهية أعدائها.

والطهارة هي معاداة الأعداء ومعرفة العلم الباطني، إلى غير ذلك من تخاريفهم الباطلة.

٩- يعتقدون أن سلمان الفارسي هو الذي علَّم محمدًا ﷺ القرآن في صورة جبريل عليه السلام، وأن القرآن هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي بن أبي طالب.

١٠- المرأة عند النصيرية لا تملك روحًا، بل هي نوع من المسخ الذي يصيب غير المؤمن، فهي كالحيوان؛ لأنها مجردة من النفس الناطقة، ولذا فهي تموت بموت الجسد لعدم وجود الروح، ولذا فهم يستبيحون الزنا بنساء بعضهم ؛ حيث لا يكتمل إيمان المرأة - في ظنهم- إلا إذا أباحت فرجها لأخيها. وهذا يفسر لنا ظاهرة كون المرأة جزءًا من الضيافة المقدمة عند الدخول في أسرار العقيدة النصيرية.

١١- القيامة عند النصيرية هي قيام الإمام المحتجب صاحب الزمان علي بن أبي طالب ليحكم بين أتباعه، ويحقق لهم السيادة ضد خصومهم من أهل السنة.

١٢- يؤمنون بعقيدة التناسخ التي تعني انتقال روح الميت بعد موته من حالة إلى حالة، ومن جسد إلى جسد، والتناسخ عندهم أربعة أنواع:

أ- النسخ: وهو انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد آدمي آخر.

ب- المسخ: وهو انتقال الروح من جسم الآدمي إلى جسد حيوان.

جـ- الفسخ: وهو انتقال الروح من جسم الآدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض.

د- الرسخ: وهو انتقال الروح من جسم الآدمي إلى الشجر أو النبات أو الجمادات.

والنصيرية من أشد الفرق كتمانًا لمعتقداتهم؛ فدينها سرّ من الأسرار العميقة، ولا يجوز إفشاؤه لغيرهم، وجزاء من يفعل ذلك القتل والتصفية الجسدية، كما فعلوا بسليمان الأخنى النصيري الذي اعتنق النصرانية بتأثير من بعض المنصرين الأمريكيين، وكتب كتاب الباكورة السليمانية، والذي كشف فيه عن أسرار العقيدة النصيرية، فكان جزاؤه القتل حرقًا في ساحة عامة، وتم إخفاء الكتاب بعد موته.

والنصيرية تنقسم إلى طوائف، منها:

١- الجرَّانة، وسميت بهذا الاسم على اسم المكان الذي يسكنونه، ويقال لهم القمرية لاعتقادهم أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قد حل في القمر، ولذا فإنهم يعبدون القمر من دون الله رب العالمين، ويعتقدون أن الإنسان كلما شرب الخمر الصافية اقترب من القمر أكثر.

٢- الماخوسية: نسبة إلى شيخهم علي الماخوسي.

النصيرية من أشد الفرق كتماناً لمعتقداتهم؛ فدينها سرّ من الأسرار العميقة، ولا يجوز إفشاؤه لغيرهم، وجزاء من يفعل ذلك القتل والتصفية الجسدية

٣- الغيبية: ذلك لأنهم رضوا بما قُدر لهم من الغيب، ثم تبعوا علي الحيدر بعد ذلك فسموا الحيدرية.

٤- البناوية: نسبة إلى سليمان المرشد، وابنه مجيب من بعده.

٥- الناصفة: نسبة إلى ناصر الحاصوري من بلدة إنصاف بلبنان.

٦- الظهوراتية: نسبة إلى زعيمهم يوسف إبراهيم العبيدي.

وهذه الفرق منهم من يعبد الشمس، ويعتقد أن علياً يقع بها، ومنهم من يقدس الهواء لاعتقادهم أن الله يقع فيه، ومنهم من يعبد القمر كما أشرنا آنفًا، إلى غير ذلك من خرافات وأساطير ليس لها صلة بالشرع الحنيف.

وأشهر شخصيات النصيرية:

١- أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري، المتوفى سنة ٢٧٠هـ، وهو مؤسس هذه الفرقة، وقد عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة، وهم الإمام العاشر علي الهادي، والحادي عشر الحسن العسكري، والثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، وهو المهدي المزعوم، أو الحجة الغائب، ويزعم محمد بن نصير أنه الباب المؤدي إلى الحسن العسكري، وأنه ورث علمه.

٢- محمد بن جندب، وهو الرجل الثاني الذي آلت إليه رئاسة هذه الطائفة بعد مؤسسها، ثم انتقلت من بعده إلى عبد الله بن محمد الجنان الجيلاني من جنبلا بفارس، ويكنى بالعابد والزاهد الفارسي، ثم آل الأمر من بعده إلى الخصيبي، وهو الحسين بن علي المصري، الذي رحل إلى جنبلا، وعاش في كنف الدولة الحمدانية بحلب، وأنشأ للنصيرية مركزين أحدهما في حلب والآخر ببغداد، ومات ودُفن بحلب وقبره معروف هناك، وله مؤلفات عديدة في التعريف بالفرقة النصيرية ومعتقداتها.

٣- سليمان أفندي الأخنى الأنطاكي الذي تنصر بعد ذلك، وأصدر كتابه الباكورة السليمانية وقتلوه حرقًا في إحدى ساحات اللاذقية؛ لأنه فضح عقائدهم في هذا الكتاب كما أشرنا سابقًا.

٤- سليمان المرشد الذي احتضنه الفرنسيون في زمان احتلالهم لسوريا، وأعانوه على ادعاء الربوبية؛ فاتخذ رسولاً لنفسه يسمى سليمان الميده.

٥- وفي عام ١٩٧١م قامت الحركة الثورية التقدمية من الشيوعيين والقوميين والبعثيين، وعلى إثرها تولى النصيريون حكم سوريا بقناع سني خبيث مزيف.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والله من وراء القصد.

انظر المراجع:

١- مجمل عقائد الشيعة: لعدوي الحربي.

٢- فرق معاصرة: لغالب عواجي.

٣- الهفت الشريف، كتاب نصيري بتحقيق علمائهم.

٤- الإسلام في مواجهة الباطنية.

٤- تاريخ الإسلامي السياسي، لحسن إبراهيم.

٥- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي.

٦- العلويون.

٧- دراسات في الفرق، جابر طعيمة.

٨- طائفة النصيرية، للحلبي.

من أخبار الجماعة

من أخبار المركز العام

زار المركز العام لأنصار السنة المحمدية في الأيام الأخيرة فضيلة الشيخ طارق العيسى، رئيس مجلس إدارة جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، وقد اصطحبه فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله شاكر، الرئيس العام للجماعة، وقام أثناء الزيارة بتفقد بعض المشروعات المشتركة بين جماعة أنصار السنة المحمدية وجميعة إحياء التراث، كما افتتحا بعضاً منها، وقد رافق الشيخ طارق العيسى أثناء الزيارة الأخ الحبيب الشيخ فهد الحسينان، رئيس لجنة مشروعات العالم العربي بجمعية إحياء التراث. وقد تم افتتاح مسجد أوسكار بمحافظة الجيزة الجمعة قبل الماضية ٢٩ يناير ٢٠١٠. وقد حضر حفل الافتتاح معالي الأستاذ الدكتور هاشم الرشيد السفير الكويتي بالقاهرة وبعض أعضاء السفارة الكويتية بالقاهرة.

زيارة دعوية

قام بزيارة المركز العام الأسبوع الماضي معالي الشيخ محمد بن عبد الله الربيعة، رئيس اللجنة العالمية لتدبر القرآن الكريم، وقد تناقش أثناء لقائه مع فضيلة الرئيس العام الدكتور عبد الله شاكر في أهداف اللجنة؛ من حيث الدعوة إلى تدبر القرآن الكريم، مع تلاوته وحفظه، وكيفية الوصول إلى هذا الهدف السامي، وكذلك حول التعاون بين جماعة أنصار السنة وتلك اللجنة القيمة.

تهنئة بالدكتوراه

جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر تهنئ فضيلة الشيخ/ سيد عبد الحليم محمد حسين؛ وذلك لحصوله على شهادة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية من كلية الدراسات الإسلامية والعربية بتاريخ ١٨ من ذي الحجة ١٤٣٠هـ.

وأسرة التحرير واللجنة العلمية تهنئ الدكتور سيد عبد الحليم بهذه الشهادة الفخرية، وتتمنى له مزيداً من الرقي.

تهنئة قلبية

جماعة أنصار السنة المحمدية، وأسرة مجلة التوحيد، ورئيس التحرير، يتقدمون بخالص التهنئة لفضيلة الشيخ/ سعيد عامر بترقيته إلى منصب الأمين العام للجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

مع أطيب التمنيات بمزيد من التقدم والرقي



مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
مجلة التوحيد .. صرح علمي لا يستغني عنها مسلم .
سارع باقتناء مجموعة مجلدات مجلة التوحيد .
38 عامًا من شروح العقيدة والشريعة بـ ٧٠٠ جنيه فقط
تحتوي على علوم الفقه والتفسير والسيرة والفتاوى وغيرها .
المجلدات لأي مكان خارج مصر تباع بـ ٢٥٠ دولارًا شاملة سعر الشحن .
المجلد الجديد لعام ١٤٣٠ هـ يباع بـ ٢٥ جنيهًا فقط .